

# فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	شكر وتقدير
أ	مقدمة
	مدخل : مفهوم الخطاب الأدبي والإصلاحي والعلاقة بينهما وأسباب ظهوره وتطوره من خلال الشيخ محمد الحميد ابن باديس
7	أ- مفهوم الخطاب الأدبي والإصلاحي والعلاقة بينهما
10	ب- الشيخ عبد الحميد ابن باديس وآثاره
13	ج- أسباب ظهور الخطاب الإصلاحي في الجزائر
15	د- تطور الخطاب الإصلاحي في الجزائر من خلال الشيخ عبد الحميد ابن باديس
	الفصل الأول: الفكر الإصلاحي للشيخ محمد الحميد ابن باديس ومفهومه للخطاب الإصلاحي ومظاهره .
19	أولاً: الفكر الإصلاحي لابن باديس وآراء العلماء والباحثين فيه وفي دعوته
19	أ- الفكر الإصلاحي في تفسير ابن باديس
22	ب- أفكار ابن باديس الإصلاحية من الجانب الفلسفي
27	ج- الجانب السياسي في الفكر الإصلاحي لابن باديس
26	د- آراء العلماء والباحثين فيه وفي دعوته
30	ثانياً: مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس
33	ثالثاً: مظاهر الخطاب الإصلاحي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس
33	أ- الدعوة إلى العقيدة الإسلامية
37	ب- محاربة الطرق الصوفية
40	ج- النهوض بالأمة
43	د- الدعوة إلى التربية والتعليم
48	هـ- اتخاذ الصحافة وسيلة لنشر الدعوة الإصلاحية

	الفصل الثاني : دراسة تحليلية فنية للخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد الحميد ابن باديس من خلال مقاله " إجابة لصوت الواجب " -نموذجاً-
54	أولاً: من حيث الأسلوب
69	ثانياً: من حيث المضمون
78	ثالثاً: من حيث اللغة
	الخاتمة
	قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

- 1- إبراهيم صحراوي : تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية ، ط 1، دار الآفاق ، الجزائر 1999م .
- 2- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ( 1900 – 1930م ) ، د ط ، ج 2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، 1992م .
- 3- أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين في الجزائر وأثرها الإصلاحي في الجزائر، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م .
- 4- حسن البنا : الشهاب المصرية ، العدد 1، السنة الأولى ، دار الشهاب ، 1 محرم 1367هـ .
- 5- حسن عبد الرحمن سلوادي: عبد الحميد ابن باديس مفسرا ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1988م .
- 6- دليلة بركان : عبد الحميد ابن باديس قائد النهضة الإسلامية ، د ط ، المكتبة العصرية ، الرويبة ، الجزائر ، د ت .
- 7- رابح تركي: الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ، د ط ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، 2001م .
- 8- رابح لونييسي : عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة ، د ط ، دار المعرفة ، د ت .
- 9- سعيد بورنان : شخصيات بارزة في كفاح الجزائر ( 1830 – 1962م ) ، ط 2 ، ج 2، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو-الجزائر، 2004م .
- 10- الزواوي بغورة : مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000م .

11- عبد الحميد ابن باديس :

- إجابة لصوت الواجب ، المنتقد ، عدد 13، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة - الجزائر ، الخميس 5 ربيع الأول 1344 هـ - 24 سبتمبر 1925 م .
- أصول الهداية ، رفع عبد الرحمن النجدي ، ط1، دار الريان ، الإمارات العربية المتحدة ، 1412هـ - 1992م .
- مجالس التذكير من كلام البشير النذير ، ط 1، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة - الجزائر ، 1983م .
- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين ، دار الكتاب الجزائري ، مطبعة الكيلاني الصغير ، القاهرة ، 1964م .

12- عبد القادر فضيل ، محمد الصالح رمضان :إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس ، د ط ،دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، برج الكيفان - الجزائر ، 2012م .

13- عبد الكريم بوالصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ( 1931 - 1945م ) ، ط 1، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، 1981م .

14- عبد الله الركبيبي: تطور النثر الجزائري الحديث ، الدار العربية للكتاب ، 1978م .

15- عمار الطالبي :

- ابن باديس حياته وآثره ، ط 1، ج 1-2-3-4، دار اليقظة للتأليف والترجمة والنشر ، 1968م .

- آثار ابن باديس تفسير وشرح أحاديث ، ط3، ج 1-3، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود ، الجزائر ، 1997م .

16- فهمي توفيق محمد مقبل : عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث ( 1307 - 1359هـ / 1889 - 1940م ) ، د ط ، د ت .

17- كمال أبو سنة : الإمام عبد الحميد ابن باديس حياته ومسيرته وجهاده الإصلاحية ، ط 2، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005م .

18- مبارك الميللي : رسالة الشرك ومظاهره ، ط 3 ، دار البعث ، قسنطينة ، 1982م .

19- محمد البشير الإبراهيمي :

- آثار محمد البشير الإبراهيمي ، ط1، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1981م .
- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ،1935م .
- عيون البصائر ، ج2-3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .
- مجلة مجمع اللغة العربية ، عدد 21 ، القاهرة 1964م .

20- محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، المكتبة العلمية لصاحبها الشيخ سلطان التكماني، المدينة المنورة ، 1397 هـ / 1977م .

21- محمد الحسن فضلاء :

- أعلام الإصلاح في الجزائر ، د ط ، ج 1، دار هومة ، الجزائر ،2000م .
- لسان حال جمعية العلماء المسلمين ، مجموعة جريدة البصائر ، ط1، السنة الأولى ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ،1984م .

22- محمد خير الدين : مذكرات ، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، د ت .

23- محمد الصالح الصديق : الوقت في حياتنا ، د ط ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر،2012م .

24- محمد طهاري : الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، برج الكيفان - الجزائر ،1999م .

25- محمد علي دبور : أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1، ج4، مطبعة البعث ، قسنطينة - الجزائر،1980م .

26- محمد الملي : ابن باديس وعروبة الجزائر ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1980م .

27- ميشيل فوكو : نظام الخطاب وإرادة المعرفة ، ترجمة أحمد سلطاني وعبد السلام بن عبد العالي، دار النشر المغربية ،الدار البيضاء،1985م .

## المعاجم والقواميس :

- 28- ابن منظور : لسان العرب ، مجلد 2، دار الجيل ودار لسان العرب ، بيروت ، 1988 م .
- 29- التهاوني : كشاف إصلاحات الفنون ، تحقيق لطفي عبد البديع ، ج2، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،1972م .
- 30- خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط14، ج4، دار العلم للملايين ، لبنان ،1999م .
- 31- رشيد بن مالك : قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، دار الحكمة ،2000م .
- 32- الزمخشري : الكشاف ، ج4، دار الكتاب العربي ، بيروت ،1987م .
- 33- سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، الدار البيضاء ،1985م .
- 34- علال نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر ، لبنان ،1980م .

## مجلات :

- 35- الاجتهاد : العددان 57 - 58، شتاء ربيع ،2003م .
- 36- مجلة الأصالة : عدد 24، الجزائر ،1975م .
- 37- مجلة الثقافة : مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ، الأعداد 26- 68 - 81 - 85 - 102، من سنة 1975م إلى سنة 1989م .
- 38- مجلة الرسالة : مجلة تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، عدد 1- 2 سنة 1980م .
- 39- مجلة الشهاب الجديد : مجلة فكرية شاملة تصدرها دوريا " مؤسسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس " العدد 3، السنة الثالثة ، ربيع الأول - أفريل (1425هـ / 2005م ) .

## مقدمة:

منذ أن وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي في الوطن الجزائري، وهي تقوم بشن حربها في تهديم تراث الجزائر وحضارتها وطمس هويتها، وفي هذه الأجواء المظلمة المكفهرة حيث السلطات الفرنسية تمعن في جرائمها وطمغانها تتكيلا وأدى جسديا وروحيا بالشعب الجزائري الصامد في مواجهة مخططاتها وأساليبها القمعية، بزغ نور الخطاب الإصلاحى الذى ظهر على يد مجموعة من المفكرين والعلماء المسلمين بهدف الإصلاح والتغيير والتجديد.

فقد كان هذا الخطاب الإصلاحى يصدر صدى بصوته الدوى، خاصة على لسان صاحب جمعية العلماء المسلمين رمز العلم، الإمام العظيم "عبد الحميد ابن باديس" الذى ظهر ليبلسم قلوب الجزائريين وجراحهم، ويعيد الأمل فى نفوسهم، ويبدد سواد ذلك الليل من حولهم بضياء ساطع بخطابه ودعوته الإصلاحية النهضوية التى أنار بها طريق الشعب الجزائرى، كما قال دانزينو: "إن النفوس الكبيرة كالشموع المضيئة تنير الطريق أو تضرم فيه النيران".

وتتجلى أهمية الموضوع بأنه:

يعد موضوعا جديرا بالبحث والطرح وذلك لأن دراسة الخطاب الإصلاحى لهذا العالم الكبير أمر ضرورى وملح يكتسب ضرورته من أهمية التعرف إلى الفكر الإصلاحى الجزائرى الذى غير مسار الحياة العامة للمسلمين الجزائريين، وكذا أن تاريخ النهضة الفكرية والثقافية وحتى السياسية التى عرفتها الجزائر فى أواخر العهد الاستعمارى، لا يمكن الإمام بها وفهم بواعثها إلا بمعرفة حركة ابن باديس الشاملة والأصول التى غذتها وتأثيراتها المختلفة فى مجالات الحياة وأهدافها التى كانت ترمى إليها .

كما أن الخطاب الإصلاحى للشيخ عبد الحميد ابن باديس يحمل فى طياته نشر الوعى بين الشعوب، بالمحافظة على العقيدة الإسلامية ومحاربة البدع والخرافات والطرق



الصوفية المنحرفة، ويظهر ذلك من خلال مقالاته التي كانت تنشر في المجلات والجرائد ولعل أهمها مقالة (إجابة لصوت الواجب) في جريدة المنتقد التي برزت في محاربتها للطرق الصوفية والرجوع بالعقيدة وعلماؤها إلى الحق والصواب .

من أهم الدوافع التي حفزني لاختيار هذا الموضوع :

- محاولة إبراز موضوع الخطاب الإصلاحى لابن باديس كقضية إصلاحية يحتج بها خاصة وأن هذا الخطاب كان فعل البارود وصداه في نفوس الشعب الجزائري ، فكان إحدى أسلحته المعنوية في مقاومة العدو حتى تحرير الوطن، وقد صدق من قال: "الإمام ابن باديس هو الزعيم الروحي لثورة التحرير الجزائرية" .

- انجذابي إلى هذه الشخصية العبقريّة فهي من الشخصيات الذين برهنوا للعالم عن قدراتهم من خلال إنجازاتهم، لذا أردت اختيار هذا الموضوع لمعرفة سر إسهام ابن باديس بخطابه الإصلاحى، الذي حقق آمال الشعب الجزائري والنهوض به في ظروفه الصعبة .

- تأسفي على احتفالنا بذكرى وفاة هذا الإمام الفذ الذي ما يزال احتفالاً شكلياً يتوجه الاهتمام فيه إلى سرد فصول من حياته، من غير تحليل للظروف والأساليب التي اتخذها ابن باديس للخروج من أزمة الأمة الجزائرية في تلك الفترة، فمن حقه علينا أن نكتب عنه الكثير، وجعله قدوة لكل ناشئ ومثلاً لكل عالم ومفكر .

- كما أنه عند اطلاعي لإحدى الكتب وجدت أن جمعية العلماء المسلمين تتاجي الأمة الجزائرية لإحيائها كما أحيتها في ظروفها المظلمة، فأردت أن أضع ببحتي هذا بذرة لإحياء نفس القارئ، ولعل هذه البذرة تنمو في نفسي فأتجه لخدمة هذه الجمعية التي تركها ابن باديس إرثاً للأمة الجزائرية.

وقد دفعني هذا إلى عدة تساؤلات أهمها :

- هل التعرف على حياة الشيخ عبد الحميد ابن باديس يكشف لنا عن فكره ومكانته بين العلماء وكذا يكشف لنا عن مفهومه للخطاب الإصلاحى؟.
- ماهى مظاهر هذا الخطاب الإصلاحى للشيخ عبد الحميد ابن باديس، وهل نجد فى منهجه ما يشير إلى الطرائق والأساليب التى اتبعها؟.
- وهل كان خطابه الإصلاحى توجيهيا للأمة الجزائرية فقط أم للأمة الإسلامية كذلك؟ وما الذى يبين ذلك؟
- وقد اعتمدت فى بحثى على مجموعة من المناهج وذلك لطبيعة المضامين المتنوعة التى يحتوىها وهى كالتالى :
- **المنهج التاريخى:** من خلال رصد مسيرة حياة الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى غاية وفاته، وكذا تتبع مسيرة ظهور الخطاب الإصلاحى .
- **المنهج التحليلى الوصفى:** الذى استعملته فى تحليل فكر الشيخ ومفهومه للخطاب الإصلاحى .
- **المنهج المقارن:** وذلك أثناء مقارنة منهج ابن باديس مع منهج جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، وكذا فى مقارنة التربية عند ابن باديس والتربية فى الدول المتقدمة كفرنسا وبريطانيا .
- **المنهج التحليلى الفنى:** والذى استعملته فى دراسة تحليلية فنية للخطاب الإصلاحى لابن باديس من خلال مقاله .

أما عن الصعوبات التى واجهتني أثناء إنجازي لهذا البحث هي:

- ندرة المجالات والجرائد التي كان ابن باديس ينشر فيها مقالاته، إضافة إلى عدم توفر كتاب ينفرد بدراسة الخطاب الإصلاحى عند ابن باديس، فمعظم الكتب تتناول مسيرة حياته وأعماله الإصلاحية من جانب نظري سردي لاغير، لذا اجتهدت قدر استطاعتي في إعطاء مفهوم ومظاهر للخطاب الإصلاحى عنده.
- كما أن ابن باديس رجل إصلاحى لذا فالجانب الأدبى لا يظهر عنده إلا بالتركيز فى كتاباته، خاصة عند الدراسة التحليلية الفنية.

وكل البحوث فقد اعتمدت فى بحثى هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :

- عبد الحميد ابن باديس:- إجابة لصوت الواجب، المنتقد، العدد 13.
- مجالس التذكير من حديث البشير النذير .
- عمار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره فى أربعة أجزاء.

- رابح تركي: الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامى والتربية فى الجزائر.
- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان : إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس.
- محمد طهارى: الحركة الإصلاحية فى الفكر الإسلامى المعاصر.

ولاستغلال المعلومة قدر الإمكان وبشكل صحيح فقد صقلت مادة بحثى فى الخطة التالية :

**مقدمة :**

- **مدخل :** يتناول مفهوم الخطاب الأدبى و الإصلاحى والعلاقة بينهما، وأسباب ظهوره وتطوره من خلال الشيخ عبد الحميد ابن باديس .

- **الفصل الأول:** خصصته لفكر ابن باديس ومفهومه للخطاب الإصلاحى ومظاهره، بدءا بفكر الشيخ عبد الحميد وآراء العلماء والباحثين فيه، إلى مفهومه للخطاب الإصلاحى، ذلك أنه من خلال دراستنا لفكره يتجلى ويظهر لنا مفهومه للخطاب الإصلاحى، ثم تطرقت إلى كيفية تطبيق وتجسيد الخطاب الإصلاحى من خلال المنهج الذى اتبعه الشيخ.

- أما الفصل الثاني: يتضمن دراسة تحليلية فنية للخطاب الإصلاحى لابن باديس من خلال مقاله "إجابة لصوت الواجب" - نموذجاً - وذلك من حيث الأسلوب، ثم من حيث المضمون ، وفي الأخير من حيث اللغة.

- خاتمة: دونت فيها النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

وفي الأخير أرجو أن أكون بإسهامي هذا قد قدمت بعض ما علي من واجبات في حق هذا الرجل الرمز من جانب خطابه الإصلاحى، غير أن ما تجدر الإشارة إليه أن الذي يتعرض للكلام عن سيرة ابن باديس أن يكون كالنحلة التي تجمع نقط الشهد من أزهار كثيرة مختلفة لتصنع منها عسلاً مصفى.

وأسأل الله أن يلهمنا الصواب والسداد في الرأي والحكم والاستنتاج، وأن يعصمنا من الخطأ ويغفر لنا عثرات أقدامنا وأفهامنا، إنه سميع مجيب الدعوات.

## ملخص:

لقد سجل لنا التاريخ العربي والإسلامي العديد من الخطابات التي جاء بها المفكرون والعلماء المسلمون بهدف الإصلاح والتغيير والتجديد، فكان الخطاب الإصلاحى من أهم أنواع الخطاب في حياة الجزائريين المسلمين أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

فكان هذا الخطاب الإصلاحى يصدر صدى بصوته الدوي خاصة على لسان صاحب جمعية علماء المسلمين الجزائريين الإمام العظيم "عبد الحميد ابن باديس" الذي ظهر ليبلسم قلوب الجزائريين وجراحهم ويعيد الأمل في نفوسهم، وكان لهذا الخطاب الأثر البالغ على الحياة الدينية والاجتماعية والفكرية... داخل الجزائر ومحيطها القريب.

فقد استطاع عبد الحميد ابن باديس أن يحدث نهضة فكرية وثقافية وتعليمية شاملة، وينشر وعيا سياسيا وطنيا عاما، وهذا راجع إلى سعة افقه ونضوجه الفكرى، ومن أجل تهيئة الأجيال وتحرير الجزائر، وضع ابن باديس خطته للنهضة الشاملة بخطابه الإصلاحى، في مجال الإصلاح الدينى والاجتماعى بالدعوة إلى الإيمان الصحيح ومقاومته البدع والخرافات، ومحاربة الظلم والفساد، وظل يجاهد بفكره ولسانه وقلمه في مجال التعليم والتربية والصحافة للنهوض بالأمة الجزائرية، ويظهر ذلك من خلال مقالاته التي كانت تنشر في المجالات ومنها مقالته "إجابة لصوت الواجب" في جريدة المنتقد التي برزت في محاربتها للطرق الصوفية التي كان يشجعها الاستعمار الفرنسى، ودعوتها للرجوع بالعقيدة الإسلامية وعلمائها إلى الحق والصواب.

هذا هو الرجل الذي كان قلب الجزائر النابض وروحها الوثابة وضميرها اليقظ، وفكرها المتبصر، ولسانها المبين، لم يضعف أمام هجمات الاستعمار المتتالية، ولم يستسلم لتهدياته ولا لإغراءاته بل بقي ثابتا على مبادئه صامدا حتى آخر حياته.

## Résumé:

L'histoire a enregistré dans le monde arabe et islamique nombre de lettres qui sont venues par les savants et les penseurs musulmans afin de réforme et de changement et de renouveau, a été le discours réformiste des plus importants types de discours dans la vie des Algériens musulmans pendant l'occupation française de l'Algérie.

Était-ce réformateur de la parole a rendu sa voix surtout sur les lèvres de l'Association des algérien musulman Scholars, le grand Imam "Abdelhamid Ibn Badis", paru guérit les cœurs des Algériens et de leurs plaies et restaurer l'espoir en eux, et c'était cet impact de la parole de la vie religieuse, sociale et intellectuelle ... Inside Algérie et les environs.

En outre capable IbnBadis arriver renaissance intellectuelle, culturelle et éducative globale, et publie une conscience politique et nationale ans, et cela est dû à l'approbation de la capacité et la maturité de la pensée et de la création des générations et de la libération de l'Algérie, a mis Ibn Badis son plan pour un ensemble sa réforme de la parole renaissance, dans le domaine de la réforme religieuse et de courtoisie à la foi à droite et à résister à des modes et des mythes, et la lutte contre l'injustice et la corruption, et a été aux prises avec l'idée, et sa langue et la plume dans le domaine de l'enseignement et de l'éducation et de la presse pour l'avancement de la nation algérienne, et montre à travers ses articles qui ont été publiés dans les champs et les journaux, y compris la «réponse à la voix du devoir" d'essai dans une critique de journal qui a émergé dans la lutte moyens soufis, qui a été encouragé par le colonialisme français, et son appel pour le retour de la foi islamique et ses scientifiques vers la droite et de la justice.

C'est l'homme qui était le cœur battant d'Alger, l'âme bonites et conscience vigilante, et la pensée perspicace, mais son jeu de langue, n'a pas affaibli face aux attaques successives du colonialisme, et ne pas céder aux menaces, mais est resté constant sur les principes de l'entreprise jusqu'à la fin de sa vie.

الفتنة

# الفصل الأول

الفكر الإصلاحي للشيخ عبد الحميد  
ابن باديس ومفهومه للخطاب الإصلاحي  
ومظاهره

# الفصل الثاني

دراسة تحليلية فنية للخطاب  
الإصلاحي عند الشيخ عبد  
الحميد ابن باديس من خلال  
مقاله " إجابة لصوت الواجب  
" - نموذجاً -

# مدخل

مفهوم الخطاب الأدبي والإصلاحي  
والعلاقة بينهما وأسباب ظهوره  
وتطوره من خلال الشيخ عبد الحميد  
ابن باديس

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# الخطاب الأدبي الإصلاحي عند

"عبد الحميد ابن باديس"

## إجابة لصوت الواجب \_ نموذجاً \_

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائري

فرع: أدب عربي

إشراف الأستاذة:

إعداد الطالبة:

جميلة روياش

مريم قاسم

السنة الجامعية: 2013/2012

# مقدمة

# فهرس الموضوعات

## شكر و تقدير

اللهم لك الحمد عند الرضا، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت

ولك الحمد بعد الرضا .

في البداية أحمد الله عزّ وجل الذي وفقني في إنجاز هذا العمل المتواضع ، كما أبادر بتسجيل شكري الخالص وثنائي الصادق لأستاذتنا المشرفة "روباش جميلة" التي تفضلت

وتكرمت بالإشراف على رسالتي ورسمت لي معالم التوجيه

فبارك الله في جهودها

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ "حمودي" الذي أنار لي الطريق في دراسة هذا الموضوع وقدم المعلومات الوفيرة فجزاه الله كل خير

ولأنسألاساتذة الكرام الذين لم يبخلوا علينا بالنصائح والتوجيهات طيلة العام الدراسي

فبارك الله في الجميع ، وسدد خطاهم لكل خير وجعل مساعدتهم في ميزان حسناتهم

ونتمنى الارتقاء لمنزلتهم فهم خير مثال

مريم قاسم

B

# إهداء

إلى من زرعاً في تقوى الله وحب العلم والدي الذين  
اختارهما الله قبل أن ترى عيناى النور سائلة المولى  
عزوجل أن يجعل تعبهما في ميزان حسناتهما

والى والداى الذين ربىانى وسقونى من حنانهما الرعاىة  
والعطف .. منحهما الله الصحة والعافىة

والى والداى الذين تعرفت عليهم منذ زمن قصىر وكانوا  
بمثابة والداى أطال الله فى عمرهما

والى شرىك حىاتى وسندى ورفىق دربى . وكان له الفضل  
الأكبر فى مواصلة دراستى زوجى الغالى

والى زهرة عمرى وفلذة كبدى "ساجدة تقى الله "

والى إخوانى وأخواتى فى الله والى كل من وقف بجانبى وشد  
من أزرى .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الفكر الإصلاحى لابن باديس وآراء العلماء والباحثين فيه وفي دعوته

أ- الفكر الإصلاحى فى تفسير ابن باديس:

قبل أن أبدا فى تقديم فكرة مبسطة عن تفسير ابن باديس من حيث المحتوى والمنهج يظهر من المفيد تحديد مفهوم عام للتفسير، لتكون لدينا صورة واضحة عن فكر ابن باديس فى هذا المجال.

(فالتفسير تفصيل من الفسر وكلاهما فى اللغة العربية بمعنى الكشف والإبانة، وقد استعمل القرآن الكريم هذه المادة بمعنى البيان والكشف فى قوله تعالى "...وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"<sup>1</sup> أى بيانا وكشفا)<sup>2</sup>.

أما بخصوص تفسير ابن باديس للقرآن الكريم (حيث شرع فى تفسيره فى سنة 1913م وانتهى منه فى آخر فصل الربيع من عام 1938م)<sup>3</sup>، (وقد أقيم بتلك المناسبة بقسنطينة احتفال وطنى عظيم حضرته وفود عن أنحاء القطر الجزائرى)<sup>4</sup>، (وقد أكمل ابن باديس درس كتاب الموطأ فى الحديث للإمام مالك بن أنس، وختمه فى جمع عشرة سنوات على الطريقة التى ختم بها تفسير القرآن)<sup>5</sup>.

وكان عبد الحميد ابن باديس فى تفسيره يستند على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى حد ذاتها، ويردد فى جل الأوقات بعبارات ("وما أكثر ما تجد فى القرآن ببيان القرآن" وقوله: "وما أحسن التفسير عندما تعضده الأحاديث الصحاح")<sup>6</sup>، فهذه المصادر الأولى التى اعتمد عليها ابن باديس فى تفسيره بالإضافة إلى اعتماده على مصادر أخرى حيث يقول ("... وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة تفسير ابن جرير الطبرى الذى يمتاز بالتفسير النقلية السلفية وبأسلوبه الترسلى البليغ فى بيان معنى الآية القرآنية وترجماته لأولى الأقوال عنده بالصواب، وتفسير الكشاف الذى يمتاز بذوقه البيانى، وفى الأسلوب القرآنى وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها فى أفانين الكلام،

1 - سورة الفرقان: الآية 33.

2 - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية فى الفكر الإسلامى المعاصر، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص27.

3 - المرجع نفسه، ص27.

4 - عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص9.

5 - محمد طهاري: المرجع السابق، ص27.

6 - المرجع نفسه، ص30.

وتفسير ابن حيان الأندلسى الذى يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات، وتفسير الرازى الذى يمتاز ببحوثه فى العلوم الكونية مما يتعلق بالجماد والحيوان والإنسان وفى العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة والحجيج فى ذلك"<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى أن ابن باديس تميز بالمماثلة فى تفسيره وذلك لتأثره (بأبى بكر ابن عربى الإشبلى الأندلسى فى كتابه " العواصم من القواسم" الذى استنسخه بنفسه من مخطوط استعاره من الزيتون بتونس)<sup>2</sup>.

كان ابن باديس (يعرض كل التفسير على عقله وقلبه فما أعجبه منها أقره، وما لم يطمئن إليه نبذه وأعرض عنه، وهذا المنهج الذى رسمه لنفسه كان بتأثير من أستاذه محمد النخيلى)<sup>3</sup>، الذى (كان وراء امتلاكه روح النقد ورفض التقليد فيقول: " كانت على ذهني بقية من غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله، فذاكرت يوماً الشيخ النخيلى فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق، فقال لي: اجعل ذهناك مصفاة لهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح... فو الله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقاً واسعة لا عهد لي بها"<sup>4</sup>.

فتلك أهم المصادر كَوّن بها ابن باديس فكره (واستعان بها فى تفسيره، أمّا طريقته العامة التى سار عليها والتزمها فى تفسير الآية القرآنية فتتقسم إلى قسمين:

الأول: يتناول أوجه الارتباط بين الآية وما سبقها وحل الألفاظ وتوضيح التراكيب النحوية وبيان ما تهدف إليه العبارات من الجانب البلاغى بإيجاز غير مُخَلّ بالمعنى أو مفسد له.

الثانى: سيره فى فهم المقصود من القول وتجليه ما تحتويه الجملة من أحكام ومبادئ وأهداف وتوجيهات، معتمداً فى ذلك على النظر وملاحظة مقتضيات تطور الحياة)<sup>5</sup>.

1 - محمد طهارى: الحركة الإصلاحية فى الفكر الإسلامى المعاصر، ص29.

2 - المرجع نفسه، ص30.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 - رابح لونيى: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة، دار المعرفة، الجزائر، (د ت)، ص7.

5 - محمد طهارى: الحركة الإصلاحية فى الفكر الإسلامى المعاصر، ص31.

وبهذا المنهج فسّر الشيخ عبد الحميد ابن باديس القرآن الكريم كله، وكذا بتطبيقه على الواقع المعاش لبناء فكرة الإصلاح (ويشهد الإبراهيمي على أن ابن باديس قد أوتي وسائل التفسير "من ملكة بيانية راسخة وسعة اطلاع على السنّة والتفقه فيها وغوص على أسرارها وإحاطة وباع مديد في علم الاجتماع البشري وعوارضه، وإمام بمنتجات العقول، ومستحدثات الاختراع، ومستجدات العمران....)<sup>1</sup>.

كل ذلك جمع في فكر ابن باديس الإصلاحى لأنه أراد أن يطهر حياتنا من كل زيف ويحقق الإصلاح في المجتمع في كل مجالاته ولذا فإن (ابن باديس في رجوعه إلى المصادر الأولى للشريعة، واستدلاله بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة وإحاطه على العلماء والباحثين حتى يستنبطوا الأدلة والبراهين، وخاصة في مجال العقائد والأحكام من تلك المصادر، قد أعاد إلى الأذهان الحاجة الملحة بل الضرورة، لعرض الإسلام عرضاً شاملاً مأخوذاً من مصادره الأساسية، حتى تتمكن من مواجهة ما طرأ على حياتنا من زيف يرجع إلى ظروف التخلف الاجتماعى والسياسى على مر الزمان، ولذا فإنه عندما ينتهي من شرحه للمناسبة والمفردات والتراكيب النحوية والمعنى الإجمالى للجملة القرآنية حتى يطوف في أجواء الآية الكريمة مستخلصاً العبرة وهدفه من ذلك التأكيد على أن مخالفة القرآن الكريم والسنّة النبويّة، هي سبب كل بلاء لحق بالمسلمين حتى اليوم)<sup>2</sup>، لذا فقد بدأ فلسفته النظرية بمحاولة إحياء القرآن في قلب الشعب الجزائرى، حتى يرجعه إلى الحياة من جديد، وكان هذا الإحياء للقرآن عن طريق تفسيره وفقاً لمنهج السلف)<sup>3</sup>.

1 - عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص26.

2 - محمد طهاري: المرجع السابق، ص34.

3 - المرجع نفسه، ص45.

## ب- أفكار ابن باديس الإصلاحية من الجانب الفلسفى:

لم يكن (لعبد الحميد ابن باديس مذهباً فلسفياً معيناً على نحو ما يعرف لدى فلاسفة اليونان أو الإسلام، بل حاول التوفيق بين الجانب النظرى والجانب التطبيقى)<sup>1</sup>، فجد ابن باديس يركز على هذين الجانبين ذلك لأنه (لم يكن صاحب نظريات، إنما كان رائداً لحركة إصلاحية جذرية تتسم بالواقعية والفاعلية والأصالة)<sup>2</sup>.

ومن ذلك (يظهر أن فلسفة ابن باديس تكمن فى تطابق الجانب النظرى مع العملى فى آن واحد، ونجد سماتها الأساسية فى تفسيره للقرآن الكريم، وفى وطنيته ومحاربه للطرق الصوفية)<sup>3</sup>.

غير أننا نجد (مذهب ابن باديس الأخلاقى الذى أستنبط من القرآن الكريم يشبه كثيراً ما قرره سقراط وأفلاطون وغيرهم من القدماء، ولكن بأسلوب بسيط ودون اللجوء إلى مصطلحات فلسفية معقدة ويبين بكل وضوح أن الدين والأخلاق يوجبان على الإنسان ولذا ينبغى على المرء أن يهتم بإصلاح نفسه أكثر من اهتمامه بجسمه)<sup>4</sup>، ( هذه الفلسفة التربوية الباديسية اتّسمت ببعد النظر إذ تعاملت مع الفرد رجلاً كان أو امرأة والمجتمع على أنهما كيانان متغيران ناميان يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به، وينعكس ذلك على طبيعة الحياة فقام بما تهيأ له من معارف عصره بتحليل الواقع الاجتماعى الجزائرى يومها)<sup>5</sup>.

لذا نجد (فلسفة التربية فى منظور الإمام ابن باديس . رحمه الله . تنطلق من الميدان التعليمى لذلك باشر هذه المهمة منذ عهد مبكر يعود إلى سنة 1913)<sup>6</sup>، حيث (أخرج الجزائر من سباتها الطويل، وما صاحبه من شلل عام للطاقت إلى نور الصحوه الدافعة إلى الانطلاق والحياة)<sup>7</sup>، فقد (أخذ ابن باديس يتصل بالأهالى ويشجعهم على افتتاح المدارس والتبرع بالأموال، فانتشر هذا النوع من التعليم فى كثير من البلاد الجزائرية)<sup>8</sup>.

1 - محمد طهارى: الحركة الإصلاحية فى الفكر الإسلامى المعاصر، ص 45.  
2 - الطيب برغوث: (تصور ابن باديس للمجتمع الإسلامى الجزائرى):مجلة الرسالة، عدد 1-2، 1980، ص20.  
3 - محمد طهارى، المرجع السابق، ص 45.  
4 - المرجع نفسه، ص 46.  
5 - محمد خير الدين: مذكرات، د ط ، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ص 83.  
6 - المرجع نفسه، ص 82.  
7 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص 13.  
8 - دليلة بركان: عبد الحميد بن باديس قائد النهضة الإسلامية، المكتبة العصرية، الجزائر، (د ت)، ص 11.

فهكذا فإن ابن باديس قد بذل جهدا كبيرا في الجانب النظري والعملى، وكذا نجد اهتمامه بعلاقة العلم بالدين وذلك لأن (الإسلام يدعو العقل إلى البحث، ومن واجب العقل أن ينسق معلوماته ويصح إدراكه لحقائقها ونسبها، حتى تزداد اكتشافا في الميدانين العملي والنظري أي المحسوس والمعقول)<sup>1</sup>، ولذلك يعرف الإسلام بقوله: (أن الإسلام عقد اجتماعي عام، فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان، في جميع نواحي الحياة، لسعادته ورقية، وقد دلت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتقدمة، على أن لا نجاة للعالم مما هو فيه، إلا بإصلاح عام، على مبادئ الإسلام، فالمسلم الفقيه في الإسلام غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة)<sup>2</sup>، لذا نجده يوجه بخطابه للإنسان الجزائري ( " كن عصريا في فكرك وفي تجارك وفي صناعتك وفي فلاحتك، وفي تمدنك ورقيك" )<sup>3</sup>، لأنه يرى أن رقي الأمم وسعادتها بطلب العلم والتفقه في الدين فأغلب خطابه تتحدث عن هذا الموضوع فقد (خاطب الشعب الجزائري يوما فقال: أيها الشعب الجزائري الكريم، أما أبناءك الشبان حملة القرآن فقد هبوا هبة رجل واحد لطلب العلم، والتفقه في الدين، يحملون الإيمان في قلوبهم، والقرآن العظيم في صدورهم، والروح الجزائرية المسلمة في لحومهم ودمائهم، لا يقصدون إلا أن يتعلموا فيعلموا ويتفقهوا فيفقهوا، لا يرجون من ذلك إلا رضا الله ونفع العباد)<sup>4</sup>، (وهنا استطاع ابن باديس أن يظهر الأمل في نفوس الجزائريين لكي يحرروا أنفسهم أنفسهم من الاستبداد بشكله الواسع سواء أكان من رجال التصوف أو من الاستعمار)<sup>5</sup>، لذلك فإن فلسفة ابن باديس كانت فلسفة دينية سياسية، اجتماعية، تحمل في طياتها فكرة الإصلاح في جميع مجالات الحياة.

### ج- الجانب السياسي في الفكر الإصلاحى لابن باديس:

لم يكن (ابن باديس مصلحا دينيا تربويا فقط، بل كان سياسيا، لأنه وضع للشعب الجزائري دستور المستقبل، عندما برهن عن عدم مشروعية الحكم الفرنسى في

1 - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامى المعاصر، 47.

2 - عبد الحميد بن باديس: المصدر السابق، ص17.

3 - رابح لونيبي: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة، ص14.

4 - عبد الرزاق قسوم: (ابن باديس والشباب)، الجزائر، مجلة الرسالة، عدد1-1980، ص2، ص19.

5 - محمد طهاري: المرجع السابق، ص47.

الجزائر، معتمداً في ذلك على ما استنبطه من خطبة الخليفة الأول أبي بكر الصديق لأن أصول الحكم في الإسلام تختلف مع أصول الحكم الاستعماري اختلافاً جوهرياً، إذ لا حق لأحد في ولاية أمر من أمور الأمة الإسلامية إلا بتولية الأمة<sup>1</sup>.

فهو يرى أن السياسة أحد عوامل نهضة الأمة إلى جانب الدين والعلم، لذا نراه يجمع بينهم في محاضرة بعنوان "العلم والسياسة" فقد قال: "... وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معاً، فقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول، لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لا بد من الجمع بين العلم والسياسة، ولا ينهض العلم والدين، كل النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد"<sup>2</sup>.

لذا فإن (آراءه في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، هي الدستور القائم بين العلماء والمفكرين السياسيين وهي المنارة التي يهتدي بها العاملون، وأن بناءه في الوطنية الإسلامية هو البناء الذي لا يتداعى ولا ينهار)<sup>3</sup>.

وقد رسم الشيخ عبد الحميد ابن باديس بفكره الإصلاحى (صورة للنظام السياسى الإسلامى ردّ فيه أصول الحكم فى هذا النظام إلى ثلاثة عشر أصلاً، مشتقة كما سبق الذكر من خطبة الصديق، وضمنها أفكار سياسية ظاهرة داعية إلى استقلال الأمة الجزائرية وحريتها وسيادتها كما اعتبرها خير أصول لتطور العالم الإسلامى بل البشرية كلها)<sup>4</sup>، وبما أن أفكاره السياسية تدعو إلى استقلال الجزائر فقد وضعها هدفاً يسعى إلى تحقيقه فى عام 1936 سأل به بعض تلاميذه عن فكرة الاستقلال التى كان ينادى بها حزب نجم شمال إفريقيا، فأجاب قائلاً: وهل يمكن لمن شرع فى منزل أن يتركه بدون سقف؟ وما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال)<sup>5</sup>.

كما نجد أن ابن باديس يجول بفكره فى جو الحرية و التى هى حرية مثالية، وليست حرية أقوال و خيال، حيث (كتب فى البصائر مقالا بعنوان " أين أنت أيتها الحرية " )<sup>6</sup> لذلك

1 - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية فى الفكر الإسلامى المعاصر ، ص34.

2 - عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص16.

3 - دليلة بركان: عبد الحميد بن باديس قائد النهضة الإسلامية ، ص14.

4 - محمد طهاري: المرجع السابق، ص35.

5 - سعيد بورنان : شخصيات بارزة فى كفاح الجزائر (1830 - 1962م)، ص120.

6 المرجع نفسه، ص121.

فهو يرى أن الحرية حق طبيعى وشرعى للأمة لها سيادتها وقانونها الذى ترضاه لنفسها لذا يقول: ("... لا تحكم الأمة إلا بالقانون الذى رضيته لنفسها وعرفت فيه فائدتها، وما الولاية إلا منفذون لإرادتها فهى تطيع القانون لأنه قانونها، لا لأن سلطة أخرى لفرد أو جماعة فرضته عليها، كأنها ما كان ذلك الفرد، وكائنة من كانت تلك الجماعة، فتشعر أنها حرة فى تصرفها، وأنها تسير فى نفسها بنفسها، وأنها ليست ملكا لغيرها من الناس)<sup>1</sup>.

أما نظرتة (للخلافة فإنها تختلف اختلافا جوهريا مع ما ذهب إليه علي عبد الرزاق ولم يعتقد أبدا ابن باديس أن انحطاط العالم الإسلامى يرجع إلى نظام الخلافة نفسه)<sup>2</sup>، بل أن (السبب فى التقدم والتأخر هو التمسك والترك للأسباب، وهنا نلاحظ بأن ابن باديس يقترب كثيرا من فكرة جمال الدين الأفغانى والتي تدل على أن الشعوب الإسلامىة قد ازدادت ضعفا، لأن موجات متتابعة من الضلال قد أفسدت حقيقة الإسلام " والمسيحيون أقوىاء لأنهم ليسوا حقيقة بمسيحيين والمسلمون ضعفاء لأنهم ليسوا حقيقة بمسلمين)<sup>3</sup>، فهو يرى أن تطور المسلمين لا يحدث إلا بإتباعهم الدين الإسلامى على حق، ولا يمكن للجزائر بدينها وأخلاقها ولغتها أن تكون فرنسا فهو يقول: ("إن هذه الأمة الجزائرىة ليست هى فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هى بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى أخلاقها، وفى عنصرها وفى دينها، لا تريد أن تتدمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائرى بحدوده المعروفة")<sup>4</sup>، وكان (أول من حدد فكرة الوطن الجزائرى فى النصف الأول من القرن العشرين بعدما ظنّت فرنسا ومن معها أنها جعلت الجزائرى مقاطعة فرنسىة بفضل القرارات التى كانت تصدرها)<sup>5</sup>، قدم لنا مفهوما للوطن الجزائرى الذى سعى بخطاباته الإصلاحىة للنهوض به ولتحقيق رقيه، وإصلاح أحواله فى جميع مجالاته.

#### د - آراء العلماء و الباحثين فيه وفي دعوته:

- 1 - محمد طهارى: الحركة الإصلاحىة فى الفكر الإسلامى المعاصر ، ص35.
- 2 - المرجع نفسه، ص37-38.
- 3 - المرجع نفسه: ص38.
- 4 - رابح لونيسى: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة ، ص15.
- 5 - محمد طهارى: الحركة الإصلاحىة فى الفكر الإسلامى المعاصر ، ص38.

إن الاطلاع على آراء العلماء في ابن باديس وفي دعوته تعتبر أهمية بارزة وضرورية، لأن أقوال أهل العلم الموثوق بهم في هذا الرجل الذي يحمل العلم الدينى، والفكر الإصلاحى، تثبت مكانته بين قادة الفكر في العالم العربى والإسلامى، ولهذا أردت أن أثبت بعض أقوال أهل العلم والإصلاح في ابن باديس، واعتبرت القول على دعوته بمثابة القول فيه، لأن الحكم على الفكرة كالحكم على صاحبها، وهذه بعض الآراء والمواقف كدليل على نظرة هؤلاء العلماء في ابن باديس ودعوته.

. الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله:

جاء في افتتاحية العدد الأول من السنة الأولى من مجلة الشهاب المصرية التي أنشأها الإمام الشهيد حسن البنا بتاريخ أول محرم 1367هـ - وبعد أن ذكر ما قامت به المنار من جهاد في خدمة الإسلام - قوله:

كما قامت من مجلة " الشهاب " الجزائرية التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله في الجزائر بقسط كبير من هذا الجهاد مستمدة من هدى القرآن الكريم وسنة النبي العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وإننا لنرجو أن تقفوا " الشهاب " المصرية الناشئة أثرها وتجدد شبابها وتعيد في الناس سيرتها في خدمة دعوة القرآن وتجليه فضائل الإسلام على أن الفضل للمتقدم وفضل السبق ليس له كفاء...<sup>1</sup>

وقال أيضا في كلمة قدم بها لأحد المواضيع التي كتبت في شأن الشهاب الباديسى: " في هذا المقال يحدثنا الدكتور أبو مدين الشافعي الجزائري عن صحيفة " الشهاب " الجزائرية التي كان يصدرها الشيخ الجليل عبد الحميد ابن باديس رحمه الله رحمة واسعة... نقدمه للقراء آداء لحق الذكرى ووفاء للذين سبقوا بإحسان.<sup>2</sup>

. أبو الأعلى المودودي:

1 - حسن البنا: الشهاب المصرية، عدد1، السنة الأولى، دار الشهاب، 1367 هـ، ص9.  
2 - حسن البنا: المصدر السابق، ص82.

ينقل لنا الشيخ الإبراهيمى ما يدل على صلة هذا الإمام بدعوة ابن باديس ورأيه فيها فقال الإبراهيمى: "والعلامة المودودى وثيق الصلة بجمعية العلماء الجزائريين من طريق جريدة البصائر متتبع لحركتها معجب بها وبأعمالها، قوى الشعور بقرب المسافة بين مبادئها ومبادئه".<sup>1</sup>

. الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف ووزير شؤون الأزهر يقول رحمه الله:

"والإمام عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء بالجزائر وباعث النهضة الإسلامية العربية فيها، وقائد الثورة ضد الاستعمار الفرنسى فى هذه البلاد العزيزة واحد من العلماء المصلحين والمفكرين الرواد فى الوطن الإسلامى العربى، ومن الأسف لم يكونوا كثرة فى العدد وإن كانوا قوة فى الأثر.

إن عبد الحميد ابن باديس لم يكن شخصا، وإنما كان قبسا من نور الله كشف به ظلام الاستعمار فى الجزائر وهدى به قوما كادت تضلهم ظلّمته وتسيئهم محنته، وأصبحوا بذلك أقوياء بعد ضعف ووحدة بعد فرقة وأصحاب أمل فى الحياة بعد يأس منها".<sup>2</sup>

. محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى الفاسى ( 1291 هـ . 1376 هـ):

مؤلف كتاب الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، أرسل نسخة من هذا الكتاب للشيخ ابن باديس فبعث هذا الأخير بتقرير أثبتته مؤلف الكتاب بقوله: "تقرير علامة القطر الجزائرى وأشهر عالم مفكر فيه ورئيس علمائه كافة الشيخ عبد الحميد ابن باديس المدرس بقسنطينة وصاحب مجلة الشهاب"<sup>3</sup>.

- الشيخ الفاضل بن عاشور رئيس المفتيين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة :

قال عنه الخطيب العلامة الأستاذ بن عاشور: (...إن فضل النهضة الجزائرية على العالم الإسلامى فضل عظيم، وأن أثر الشيخ عبد الحميد بن باديس فى تلك النهضة أثر إنسانى رئيسى، وما تكريمنا للشيخ عبد الحميد بن باديس إلا تكريم للفكرة العبقريّة والنزعة الإصلاحية الفلسفية، التى دفعت به فريدا إلى موقف إحياء التعاليم الإسلامية، فى وطن

1 - البشير الإبراهيمى: عيون البصائر، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص692.

2 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص8.

3 - محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى الفاسى: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، المكتبة العلمية، المدينة النورة، 1977، ص561.

أوشكت شمس الإسلام أن تنقلص فى ربوعه، بعد ثمانين عاما قضاها فى أغلال الأسر، فإن وقع المصيبة، واستمرارها وطول أمدها، وخيبة المصارعات الكبرى التى بذلت فى سبيل الإفلات من الغل قد كوّنت حول الشعب الجزائرى دائرة من التصورات المزعجة إن لم تزرع فيه روح الاستسلام واليأس فقد زرعت فيه الذهول والسموم، والاستلقاء فى بحر جارف التيار، فى غفلة عن غايته<sup>1</sup>.

. البشير الإبراهيمى (1889\_1965):

قال فىه البشير الإبراهيمى " بانى النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر وواضع أسسها على صخرة الحق، وقائد زحوفها المتغيرة إلى الغايات العليا، وأمام الحركة السلفية، ومنشئ مجلة الشهاب مرآة الإصلاح وسيف المصلحين، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدى المحمدي وعلى التفكير الصحيح، ومحبي دوارس العلم بدروسه الحية ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية فى مجالس انتظمت ربع قرن، وغرس بذور الوطنية الصحيحة وملقن مبادئها، علم البيان، وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس الشىخ عبد الحميد ابن باديس أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم رحمه الله ورضي عنه"<sup>2</sup>.

. آراء الباحثين:

نجد اتفاق الجميع، تلاميذ وباحثين (على أن ابن باديس كان معلما للأمة الجزائرية ورائد لنهضتها وزعيما لحركة الإصلاح فى فترة ما بين الحربين)<sup>3</sup>، فمن الباحثين:<sup>4</sup>

. الأستاذ رابح تركي:

فيصف حركته بأنها الدرع الواقي الذى وقى الجزائر من خطر الاندماج والذويان فى فرنسا، وأنها الأب الشرعى للثورة الجزائرية التى قامت فى أول نوفمبر 1954.

1 - عبد القادر فضيل ، محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، برج الكيفان (الجزائر)، 2012، ص289.

2 - البشير الإبراهيمى: عيون البصائر، ج3، ص632.

3 - محمد طهاري : الحركة الإصلاحية فى الفكر الإسلامى المعاصر ، ص50 .

4 - ينظر المرجع نفسه، ص50.

. الأستاذ عمار طالبي:

يذهب الأستاذ عمار طالبي إلى أبعد من ذلك فيصف ابن باديس " بأنه أمة وحده إذ استطاع بعمله التربوي في المدارس وتفسيره للقرآن في المساجد أن يضع أصول النهضة الجزائرية الحديثة فكريا وأخلاقيا واجتماعيا سياسيا، كما أن الثورة الجزائرية في جوانبها النفسية وقوتها المعنوية تتمثل في كلمة الجهاد، تترد إلى عمله التربوي الخاص والعام.

. مالك بن نبي:

أما الأستاذ مالك بن نبي فيذكرنا بأن الشيخ بالإضافة إلى دوره في توجيه الرأي الجزائري العام، كان كذلك المعلم الذي يدرس في معهد تكوّن فيه كل قادة تعليمنا الحر حتى شعراؤنا مثل محمد العيد آل خليفة.

نجد أن العلامة عبد الحميد ابن باديس (لم يكن في تاريخ الجزائر مجرد رجل دين نادى بإصلاح وحدد مواقف تقدمية من مسائل الدين واللغة والوطن، وإنما كان رجل فكر أضاء برويته التقدمية الكثير من المفاهيم السائدة واستطاع عن طريق كتاباته في الصحف، ولقاءاته مع الشعب، ومجادلاته لأعوان الاستعمار، أن يدعم الجو الراكد بحيوية ونشاط)<sup>1</sup>، كما كان له الأثر البالغ من خلال أنه المدرس الذي تخرج على يده قادة للمجتمع الجزائري، وكذا بخطاباته الإصلاحية التي كان يقدمها للنهوض بوطنه وإصلاحه.

ثانيا: مفهوم الخطاب الإصلاحى عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس

إن مفهوم الخطاب الإصلاحى عند رجال الإصلاح في الأمة الجزائرية يعني التجديد<sup>2</sup>، وبالرغم (من اعتقاد ابن باديس والإبراهيمي والميلي بأن حركتهم الإصلاحية هي حركة تجديد، موافقة لحركة التجديد بمعناه السلفي، فهم لا يدعون الاجتهاد، وإنما يكتفون بالرجوع إلى الكتاب والسنة).<sup>3</sup>

1 - محمد طهاري : الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامى المعاصر ، ص51.

2 - مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، ط 3، مطبعة البعث ، قسنطينة، 2004، ص 14.

3 - عبد اللطيف عبادة : (الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين احمد بن تيمية - دراسة مقارنة )، مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، عدد 85، يناير - فبراير 1984م، ص 127.

ولذلك كان الهدف الرئيسى للخطاب الإصلاحى فى الجزائر الذى تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هو تمكين المسلمين الجزائريين من فهم العقيدة الإسلامية، ليحسن تطبيقهم تعاليم الإسلام وأحكامه.

ولهذا يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس أن (نقطة البدء فى أى إصلاح هى تطهير العقائد من الشرك، والأخلاق من المفساد، "فلا داعى إلى تحقير أنفسنا، ولا موجب للقنوط من رحمة الله، وليس لنا أن نستهيىن بما نزيله كل يوم من فساد، فبدوام السعى واستمراره يأتى ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله"<sup>1</sup>).

نرى أن الشيخ ابن باديس قد أوضح انطلاقاً للإصلاح من تنقية الدين الإسلامى من الشوائب، والأخلاق من المفساد، مما يوصل إلى الاعتدال، وتسوية النفس واصطلاحها، وفى هذا الصدد يقدم الشيخ ابن باديس مفهوماً للإصلاح بقوله: (والإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله، بإزالة ما طرأ عليه من فساد)<sup>2</sup>.

فالخطاب الإصلاحى عند الشيخ عبد الحميد بن باديس مبني على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد اتخذ من القرآن الكريم مرآة يرى بها الواقع الإسلامى وغيره، ويشخص من خلال هذه المرآة الأمراض والانحرافات فهو يطبق آيات القرآن على المجتمعات ثم يستوحي منها الدواء والعلاج.

فلما كانت الفئات التى تتزعم الدعوة وتتكلم باسم الدين تتحصر فى طائفتين: الطرقيون والسلفيون أسرع حين ذلك ابن باديس إلى تحكيم القرآن لتظهر المحقة منهما قال: "وها نحن نعرض بعض حال كل طائفة فى قيامها بالخطئة، ثم نسوق آيات القرآن، وننظر من أسعد الطائفتين بها..."<sup>3</sup>، ثم عرض حال كل طائفة على حدى وقارن بينهما بناء على الدليل.

ولأن ابن باديس كان يؤمن أن هذا القرآن هو "كتاب الدهر"<sup>4</sup> وبما أنه شفاء للأفراد فهو كذلك شفاء للاجتماع البشرى<sup>5</sup>، لأنه شرع من أصول العدل وقواعد العمران ونظم التعامل

1 - عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ودورها فى تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ص 203.  
2 - عبد الحميد بن باديس: أصول الهداية، رفع عبد الرحمان النجدي، ط 1، دار الريان، الإمارات العربية المتحدة، 1412 هـ - 1992 م ص 40.  
3 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 205.  
4 - المصدر نفسه، ص 488.  
5 - المصدر نفسه، ص 187.

وسياسة الناس، فيه العلاج الكافى والدواء الشافى لأمراض المجتمع الإنسانى من جميع أمراضه وعلله"<sup>1</sup>.

وما يبين ذلك عند تفسيره لقوله تعالى " وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ..."<sup>2</sup> قال رحمه الله تعالى: "شفاء العقائد من الأخلاق . وهما أساس العمل . والمجتمع هذه الثلاثة لا تكاد تخلو آيات القرآن من معالجتها وبيان ما هو شفاء لها، ولا شفاء لها إلا بالقرآن، والبيان النبوى راجع إلى القرآن ومن طلب شفاءها فى غير القرآن فإنه لا يزيد لها إلا مرضاً"<sup>3</sup>.

وكان منهج عبد الحميد ابن باديس فى الإصلاح بمثابة (التفكير السديد الذى يرى أن تكون الحضارة كظاهرة اجتماعية فى ظل الظروف والشروط التى ولدت فيها الحضارة الأولى... حضارة الإسلام فى عصوره الزاهرة، فالإصلاح عند عبد الحميد بن باديس هو: التمرد على الحاضر والاستجد بالماضى لاكتساب الطاقة الحرارية التى تنقل المجتمع الجامد إلى السير نحو مستقبله يخطها بنفسه من صميم "سلفية" لا تنتعش إلا لتندمج فى الصورة الجديدة التى تنعش حضارة ما، وتسير بها إلى الأمام)<sup>4</sup>.

إن المنهج الإصلاحى لعبد الحميد بن باديس باعتباره التفكير السديد الذى يحقق صلاح المجتمع هو الطريق للوصول إلى الغاية المنشودة فهو يعتبر أن الإنسان هو الذى يحقق الغاية بتفكيره، فصلاح الأمة من صلاح الفرد، وعبد الحميد ابن باديس يرى أن (الإنسان خاصيته التفكير فى أفق العلم الواسع الرحيب، فمن حرم إنساناً فرداً أو جماعة من العلم فقد حرمه من خصوصية الإنسانية)<sup>5</sup>.

والخطاب الإصلاحى القائم على أساس الدين الإسلامى، هو الذى يحقق رقى الأعمال وازدهار المجتمعات وتسوية الأمور بينهم، وقلة الخلافات مما يؤدي إلى الاستقامة والسير فى طريق الحضارة، حيث نجد أن الشيخ عبد الحميد بن باديس يرى بأن فكرة

1 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2 - سورة الإسراء: الآية 82.

3 - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص 188.

4 - محمد العربى ممرىش: (مالك بن نبي والاتجاه الحضارى فى الحركة الوطنية بين الحربين 1920-1980)، مجلة الثقافة، العدد 85، ص 206-207.

5 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 338.

الإصلاح الدينى تتحقق (بتعريف الإسلام مما أحدثه فيه المبدعون، وحرّفه الجاهلون، وبيانه كما جاء فى القرآن والسنة المطهرة، وعمل به السلف الصالحون، معلنا أن المسلمين بذلك وحده تصفو عقائدهم وتزكو نفوسهم، وتستقيم أعمالهم، وينبعثون عن قوة وبصيرة فى الأخذ بأسباب الحياة الراقية، والمدنية الطاهرة، مشاركين أمم الدنيا فى خدمة الإنسانية، وترقية الحضارة التى غلبت عليها المادية والأنانية، وتفشت فيها أمراض ليست من التمدن الحقيقى فى كثير ولا قليل)<sup>1</sup>.

فالخطاب الإصلاحى عند عبد الحميد ابن باديس هو الخطاب القائم على الدين الإسلامى الذى يحقق صلاح البشرية، وكذا يحقق آمالهم وأهدافهم وتسوية أحوالهم وإيصالهم إلى التقدم والازدهار، وذلك بالسير فى طريق الإسلام الذى يعرفه ابن باديس بقوله: (هو دين الله الذى أرسل به جميع أنبيائه وكملّ به هدايته، وعمم الإصلاح البشرى على لسان خاتم رسله، هو دين جامع لكل ما يحتاج إليه البشر أفرادا وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم، فهو دين لتتوير العقول، وتزكية النفوس، وتصحيح العقائد، وتقويم الأعمال فيكمل الإنسانية، وينظم الاجتماع، ويشيد العمران، ويقوم ميزان العدل، وينشر الإحسان، لكن الإسلام الطاهر النقي الذى يدعو إلى العمل والتقدم والتطور، قد صار بفعل الخرافات والبدع والشعوذات إسلاما يدعو إلى التواكل وعدم مجاراة الأمم المتطورة)<sup>2</sup>.

لقد كانت أسمى أهداف الخطاب الإصلاحى هو ( النهوض بالأمة الجزائرية نهضة أخلاقية على أساس الدين والعلم على نور الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة)<sup>3</sup>.  
ومن هذا الجانب نجد أن الهدف الأول من الإصلاح عند عبد الحميد بن باديس هو (ضمان وجود الشخصية الجزائرية)<sup>4</sup>.

1 - تركي رايح: (الشهاب لسان الإسلام العربى والوطنية فى الجزائر 1925-1939 ودورها فى نهضة الجزائر)، مجلة الثقافة، عدد 81، ص 177.  
2 - تركي رايح: (الشهاب لسان الإسلام العربى والوطنية فى الجزائر 1925-1939 ودورها فى نهضة الجزائر)، مجلة الثقافة، عدد 81، ص 204-205.  
3 - عمار الطالبي: آثار ابن باديس، ج 3، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر، الجزائر، 1997م، ص 212.  
4 - عبد الكريم بو الصفصاف: جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ودورها فى تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ص 108.

نجد فى مفهوم الخطاب الإصلاحى لابن باديس أنه لا يخرج من اطار إتباع الدين الإسلامى لأنه يرى فيه صلاح المجتمع البشرى، وقد تظهر هذا الخطاب الإصلاحى فى عدة مجالات التى دعا إليها ابن باديس لتحقيق الإصلاح.

### ثالثاً- مظاهر الخطاب الإصلاحى عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس

#### أ- الدعوة إلى العقيدة الإسلامية:

لقد دعا عبد الحميد بن باديس فى خطابه الإصلاحى إلى التشبث بكتاب الله، وسنة رسوله الكريم وبيّن هذا فى قوله: (وقد دعونا الناس إلى المخرج وهو كتاب الله، وسنة رسوله المبينة له)<sup>1</sup>. ويوضح لنا ابن باديس وصف الله لكتابه، ثم يقوم هو بتعريفه فى قوله: (وقد وصف الله كتابه بقوله: "هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ"<sup>2</sup>، فهو هدى بين واضح، لا يلتبس على مريد الحق التماس الهدى منه، وإذا كانت طباعنا العربية وسلاتنا فى فهم لسان العرب قد حالت وفسدت وصعب علينا أو تعذر فهم كلام ربنا، فإن فى تعلم اللغة العربية وعلومها ما يجعل لنا سلائق مكتسبة، وأن فيما كتبه أئمة التفسير قبلنا ما يجبر نقص السليقة الكسبية عن السليقة الفطرية)<sup>3</sup>، أي من أراد الهدى بحق فإنه يتلقى الهدى بإذن الله، وحتى وإن تعذر علينا فهم القرآن الكريم فابن باديس أوضح أن كتب التفسير توضح ما هو غامض علينا.

ونجد فى خطابه الإصلاحى الموجه للدعاة إلى الحق هذه الدعوة بعد توضيحه لكتاب الله فى قوله: ( كتاب الله، هو الدواء الناجع من أدواء النفوس وأمراض القلوب ، وهو الرقية الشافية - رقية الله - من وساوس الأهواء وهواجس الضلال، فإن النبى . صلى الله عليه وسلم . لم يزد فى استشفاء ضماد على إسماعه ذلك الكلام الجامع المختصر .

فعلى الدعاة إلى الحق أن تكون دعوتهم بكلام الله و مثل هذه الكلمات من حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فإن فى ذلك الإلتباع و الانتفاع، وحصول الهداية)<sup>4</sup>، فعبد الحميد ابن باديس يرى أن كتاب الله والكلام النبوي المأخوذ منه، هو دواء النفوس،

1 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص205.

2 - سورة البقرة: الآية 185.

3 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ص205 .

4 - المصدر نفسه، ص272-273.

وبالتالى صلاح النفس يعنى صلاح الإنسان ولذلك دعا الدعاة إلى الحق التوجه إلى كتاب الله وحديث رسوله . صلى الله عليه وسلم . .

ولأهمية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى المناهج التعليمية فقد دعا الإمام ابن باديس الدعاة، والأدباء والباحثين إلى الكتابة حول القرآن بعدما انحرف بعض المسلمين وهجروا القرآن واشتغلوا بغيره، ضاق إحساس الإمام بهذا الوضع (فتوجه بهذا الإحساس إلى الدعاة لافتاً نظرهم إلى واجب إرشاد الأمة إلى الإقبال على قرآنها، كما حظَّ الأدباء فى الوقت ذاته على الكتابة حول القرآن ببيان فضائله وطرائق تعليمه ووجوه التكفل بتحسين أوضاع المشرفين على ذلك حتى يتبلور مما يقوم به أولئك الدعاة وهؤلاء الباحثون فى هذا الميدان، أى عام، تلتفت حول مراميه الأمة وتنهض تحت تأثيره بواجبها نحو كتاب شريعته، فتقبل عليه حفظاً ومدارسة وتطبيقاً قد تقاصرت هم المسلمين فى هذه المدة الأخيرة عن تعليم القرآن وتعلمه فقلَّ الحافظون له، فعلى كل من نصب نفسه لإرشاد المسلمين فى دينهم أن يحثهم على العناية بحفظ كتاب ربهم، على الكتاب أن يطرقوا هذا الموضوع الكثير النواحي"<sup>1</sup>).

وفى خطابه الإصلاحى وجه ببيان لحالة أئمة المساجد، وخطبائها والمتصدرين لوعظ الناس وإرشادهم قال: (أكثر الخطباء فى الجُمعات اليوم فى قطرنا يخطبون الناس بخطب معقدة، مسجعة طويلة من مخلفات الماضى لا يراعى فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السامعين تلقى بترنم وتلحين أو غمغمة وتمطيط ثم كثير ما تختتم بالأحاديث المنكرات والموضوعات)<sup>2</sup>. ويوضح هذه الحالة بقوله: ("هذه الحالة بدعية فى شعيرة من أعظم الشعائر الإسلامية سدَّ بها أهلها باباً عظيماً من الخير فتحه الإسلام وعطلوا بها الوعظ والإرشاد وهو ركن عظيم من أركان الإسلام...")<sup>3</sup>.

1 - الشهاب الجديد: السنة الأولى، عدد3، ص70-71.

2 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التنكير فى كلام الحكيم الخبير، ص416.

3 - المصدر نفسه: ص416.

ولم تكن (عناية ابن باديس بالسنة الشريفة، أقل من عنايته بالكتاب، فقد دعا إلى التفقه فيها والرجوع في أخذ أحكام الدين وفهم مراميه بعد الكتاب إلى ما جاء في سنة صاحب الشرع محمد صلى الله عليه وسلم من شرح وبيان لتلك الحقائق الشرعية)<sup>1</sup>.

لم يقصر عبد الحميد ابن باديس في خطابه الإصلاحى على كتاب الله فقط، بل حتى سنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وذلك مما جاء في السنة النبوية الشريفة من بيان للحقائق الشرعية التي تصلح حال الأمم والمجتمعات، وتسوق حياتهم إلى الاعتدال والاستقامة، إلى جانب ذلك تبين في خطابه الإصلاحى دعوته إلى توحيد جهود الجماعة لتحقيق التقدم والنهوض بالمسلمين فهو يوضح ذلك بقوله: (إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة ودفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة...)<sup>2</sup>.

ويظهر في خطابه الإصلاحى كذلك دعوته لتلاميذه لتطبيق آيات القرآن الكريم بقوله: (النتطبق آياته على أحوالنا وننزلها عليها كما كانت تنزل على الأحوال والوقائع)<sup>3</sup>.

ونرى دعوة ابن باديس للعقيدة الإسلامية في إصلاحه لجامع الزيتونة بخصوص البحث عن شيوخ معلمين والكيفية التي تدرّس بها العلوم وبخصوص المنهج الذي يراه ملائماً، (أما بخصوص العقائد فإن ابن باديس يقترح على أساتذة الزيتونة وعلمائها أن يأخذوا أدلتهم من آيات القرآن مباشرة، فإنها وافية بذلك كلّ، وهو يعارض الذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة، ومصطلحاتهم الجافة ويعتبر ذلك من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير)<sup>4</sup>.

كما نجد في الخطاب الإصلاحى لابن باديس دعوته للعرب بأن يستمدوا الرسول صلى الله عليه وسلم مثلهم الأعلى، فهو يقول (استمدوا . أيها العرب . حياتكم وعلى ما شاده من ماضيكم، ابنوا حاضرکم ومستقبلکم من تاريخه الحافل، إستوحوا مناهج حياتکم، ومن سيرته الجليلة، اجمعوا عناصر نهضتكم ومواد بنائکم القومي، فلسانه لسانکم، وقوميته

1 - الشهاب الجديد: عدد3، ص71.

2 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)، ص106.

3 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص231.

4 - الشهاب الجديد: السنة الأولى، عدد3، ص44.

قوميتكم، وتاريخه تاريخكم، فاتخذوه مثلكم الأسمى فى الحياة، تتخذكم الحياة مثلاً كنتم، مثلها الأسمى وقادتها الراشدين)<sup>1</sup>.

لقد كانت نظرة ابن باديس (الناقذة النافذة تكشف له عما يكمن فى الأمة الجزائرية من عناصر القوة والكمال، مما يؤهلها للحياة العزيزة الكريمة، فوضع منهاجه الإصلاحى العام القائم على الكتاب والسنة)<sup>2</sup>، فهو يقول: (فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها، عن علم وبصيرة وتمسكا بما هو مناسب لفطرتها وتربيتها من النصح والإرشاد، وبث الخير والثبات على وجه واحد والسير فى خط مستقيم، وما كنا لنجد هذا كله إلا فيما تفرغنا له، من خدمة العلم والدين، وفى خدمتهما أعظم خدمة للإنسانية عامة)<sup>3</sup>.

فهكذا كان عبد الحميد ابن باديس فى خطابه الإصلاحى، يدعو إلى العقيدة الإسلامية، والتشبث بها، والمحافظة عليها بمحاربة البدع والخرافات والطرق الصوفية، التى أدت إلى اختلال علوم الدين الإسلامى، فدعا إلى الاعتصام بالدين الإسلامى على حق بدون أى شبهاة فيه.

#### ب- محاربة الطرق الصوفية:

لقد حارب الإمام عبد الحميد ابن باديس بخطابه الإصلاحى (البدع والخرافات التى ألصقت بالدين الإسلامى الحنيف، ودعا مواطنيه إلى العودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة)<sup>4</sup>، بعدما اعتبر الخطاب الإصلاحى (الطرق الصوفية علة العلل فى الإفساد ومنيع الشرور، وأن كل ما هو متفشى فى أوساط العامة من ابتداع فى الدين، وتحريف العقيدة وإلحاد فى الناشئة ناتج عن الطرق ومرده إليها، ولذلك وجبت محاربتها)<sup>5</sup>.

كما أن (الحرب التى شنها العلماء المصلحون على شيوخ الزوايا وأتباعهم لم تكن من قبيل الصدفة أو من اختيار بعض الأشخاص، ولكنها كانت فكرة ناضجة توصلوا إليها بعد دراسة عميقة لأحوال المجتمع واكتشاف أسباب مرضه)<sup>6</sup>، وقد كشف الخطاب الإصلاحى

1 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص305.

2 - المصدر نفسه، ص14 - 15.

3 - المصدر نفسه، ص15.

4 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة فى كفاح الجزائر (1830-1962)، ص109.

5 - عبد الكريم بالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ودورها فى تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ص204.

6 - المرجع نفسه، ص204.

عن الكثير من الجماعات والطرق التى شوهت صور الإسلام ومنهم المبتدعون الذى يقول فيهم الإمام ابن باديس (فأما المبتدعون الذين بدّلوا سنته وأحلوا محلها بدعته فإنه . صلى الله عليه وسلم . يبعدهم عنه)<sup>1</sup>، وكذلك (فمن شبهات الطريقون، قولهم أن كلام الله أجل أن يفسر، وأن الواجب الاقتصار على المؤلف من المؤلفات، وقد صدّوا عن التفسير حتى قالوا أن من يفسر القرآن فيكون تفسيره صحيحاً فهو خطأ، وإن كان تفسيره خاطئاً فقد كفر)<sup>2</sup>.

فهذه الجماعات التى انتشرت في المجتمع لتغير أذهان الناس فهي من حفرت الخطاب الإصلاحى عند عبد الحميد ابن باديس لتصحيح العقيدة الإسلامية مما تحدّثه هذه الجماعات فهو يقول عن البدع الطرقية: ( وانظر في قطرنا وفي غير قطرنا كم تجد ممن بنى موضعاً للصلاة ووضع كتباً من عنده أو ممّا وضعه أسلافه من قبله وروّجوها بين أتباعه فأقبلوا عليها وهجروا القرآن ...) <sup>3</sup>.

وقد وُجّه الخطاب الإصلاحى للإمام عبد الحميد بن باديس إلى الشعب الجزائرى ليتشبّه بالعقيدة الإسلامية والإبتعاد عمّا يخالفه لأنه يتسبب في ضعف هذا المجتمع وانحطاطه، خاصة وأن الطرق الصوفية قد (استقروا باسم الدين كل الطاقات الفكرية والمادية للشعب الجزائرى الواقع بين مخالب الإستعمار... وهم من أهم عوامل انحطاط المجتمع الجزائرى وتأخره) <sup>4</sup>، لذا نجد الخطاب الإصلاحى لابن باديس (ثورة على التوجيه السائد لدى الطرق الصوفية الفاسدة "اعتقد ولا تنتقد") <sup>5</sup>.

فكان بثورة خطابه الإصلاحى، يصحح به العقيدة الإسلامية، ويدعو المجتمع إلى إتباع الحق، فكانت نفسه لا تتركه على إهمال مجتمعه، ولا تكون له راحة إلا إذا قام بإنقاذها من هذه البدع والضلالات والطرق التى حرّفت الإسلام ولعله بهذه الصفات قد استمدها من اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم فهو يقول عنه: (كان هذا العظيم النفس الرقيق القلب، الرجل القوى الرحيم، يرى انحطاط قومه في المعتقد والأخلاق والمجتمع فتسمو به نفسه

1 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 199.

2 - مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره ، ص 37.

3 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص 134.

4 - عبد الكريم بالصفصاف : جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945 ، ص 364.

5 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830- 1962) ، ص 104.

العظيمة عن البقاء فى تلك البيئة المنحطة والوسط المريض، وتأبى عليه رحمته أن يتركهم فيما هم عليه فكان دائم الإهتمام بهم، دائم التفكير فى الطريق الذى يسلكه لإنقاذهم<sup>1</sup>.  
فاين باديس يذكّر ما كان يتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم فى إنقاذ أمته، وكذا هذه الصفات جسدها فى حياته للنجاة بمجتمعه، وتسييره فى طريق الحق، التى تحقق له نهضته، وترقى به ماديا وفكريا، لذلك نجده يجول بخطابه الإصلاحى فى كل الجهات، وها هو يقوم بواجبه نحو مجتمعه وتلامذته ( بالإشراف على رعايتهم وتوجيههم فكريا بما يحرر عقولهم من الخرافة والتقليد ويحمي قلوبهم من البدع والضلالات ويوجههم اجتماعيا وسياسيا مما يمهّد أمامهم السبيل إلى التفاعل والإندماج الواعى فى الواقع، ويعمق الشعور فى أنفسهم بما ينبغى أن يقوموا به من واجبات نحو الوطن على طريق تحريره والرقى به)<sup>2</sup>، فعبد الحميد ابن باديس بخطابه الإصلاحى يبعد عن مجتمعه كل الشبهات التى أصقت بالدين الإسلامى وإبعاده عن الطرق الصوفية التى صدّت أذهان الناس عن الحق وتوجيههم إلى طريقها.

فنجده فى خطابه الإصلاحى يدعوا لقراء السنّة لمعرفة هذه الجماعات والتحذير من بدعهم وضلالهم يقول ابن باديس: (أردنا أن ننقل لقراء السنة بعضا من إنكار أهل العلم على هؤلاء، المتسمين بالفقراء المدعين لطريقة الزهد المتمسكين بالبدعة ليعرفوا سنّة العلماء فى الرد عليهم والتقيح لحالهم والتحذير من ضلالهم فيعلموا أن العلماء الإصلاحيين المعاصرين ما جاؤوا إلا على سنّة سلفهم المتقدمين، وما قاموا إلا بما يفرضه عليهم الدين من نصح المسلمين وإرشاد الضالين)<sup>3</sup>.

يوضح ابن باديس لقراء السنّة نظرة العلماء الإصلاحيين المعاصرين للجماعات المنحرفة بطرقها الصوفية الضالة، كما يوضح فى خطاب إصلاحى آخر عن الغاية الأولى من جهوده معهم فيقول: (غايئنا من أول أمرنا هي تهذيب المسلمين بدينهم ولغة دينهم فى

1 - عمار الطالبي: آثار ابن باديس، ج 3، ص 513-514.

2 - الشهاب الجديد: السنة الأولى، عدد 3، ص 68.

3 - عمار الطالبي: آثار ابن باديس، ج 3، ص 42.

دائرة القانون، وإنما نريد من ذلك رفع مستوى المسلمين الجزائريين العقلي والأخلاقي، ليتعاونوا مع من يساكنونهم بكفاءة وتآخٍ واحترام، وإنما نعمل بذلك بواجب ديننا ووحى ضمائرنا<sup>1</sup>.  
لقد كان ابن باديس يسعى جاهداً لتثبيت العقيدة الإسلامية ومحاربة البدع والخرافات والضلالات التي جاءت بها تلك الطرق وذلك للنهوض بالأمة على أساس دين سليم، فكانت خطاباته الإصلاحية (تدعو إلى العلم النافع وتشره وتعين عليه وتدعو إلى الدين الخالص وتبينه وتعمل على تثبيته، وتقوية وازعه في نفوس هذه الأمة)<sup>2</sup>.

### ج- النهوض بالأمة :

نجد الخطاب الإصلاحى لابن باديس في النهوض بالأمة دعوته إلى الحياة فقد (كان شعاره في دعوته إلى الحياة لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فالتغيير عنده إنما هو استجابة طبيعية من الأمة، للحياة متى أحيينا فيها قيم الإسلام ومبادئه السامية)<sup>3</sup>.  
كما يوضح في خطابه الإصلاحى أن صلاح الأمة من صلاح علمائها فهو يقول:  
(إن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب، إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم... فإذا أردنا إصلاح المسلمين فنصلح علمائهم)<sup>4</sup>.

وكان من (مقتضيات الدعوة التي قام بها الإمام ابن باديس للنهوض بالأمة، أن يعمل في جبهات كثيرة، ومجالات مختلفة، فاتصل بالزوايا، معاقل المحافظة على القرآن والثقافة الإسلامية، وأثر فيها، فجددت من أساليبها وحسنتها، وبعثت بأبنائها ليدرسوا عنه بقسنطينة، وأصبحوا دعاة الإصلاح كما حارب بعض المنتمين إلى الدين من الجامدين المتعاملين مع

1 - المصدر نفسه، ص565.

2 - الشهاب الجديد: السنة الأولى، عدد3، ص73.

3 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص15.

4 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)، ص108.

الاستعمار، الذى أدرك خطورة هذه الحركة الإصلاحية على وجوده فى الجزائر)<sup>1</sup>، فقد كان ابن باديس مصلحا اقترن اسمه وأثره بتاريخ هذا البلد فى مرحلة سياسية كانت تعده " للثورة"<sup>2</sup>، فهو قائد الحركة الإصلاحية التى دعت للنهوض بالأمة لذا نجد الاستعمار ( عمل على إيقاف زحفها بكل أساليب الترغيب والترهيب، فإذا ارتفعت أصوات الشعب عاليا، تطالب بحقها فى الحياة، سارع إلى توزيع المواد الغذائية لإسكاتها، زاعما أن الدافع لارتفاع تلك الأصوات هو البطون الجائعة، فيفصح ابن باديس عن ذلك الزعم بكلمة عنوانها " ليست الخبز كل ما نريد" <sup>3</sup>.

والخطاب الإصلاحى لابن باديس يدعو إلى العمل والاجتهاد فى إصلاح هذه الأمة والنهوض بها (وذلك إيمانا منه بأن هذا العمل هو السبيل الوحيد لحفظ شخصية الأمة وشحن إرادة الكفاح فى أفرادها حتى ينهضوا فى المستقبل لمقاومة الاحتلال وتحرير البلاد)<sup>4</sup>.

كما دعا الإمام عبد الحميد ابن باديس فى خطابه الإصلاحى المسلمين الجزائريين حتى ينهضوا بأمتهم ويحققوا لها الرقى فكريا وماديا فقد دعاهم إلى (الأخذ بالجوانب الإيجابية فى الماضى لبناء صرح الإصلاح على أسس سليمة، كما دعاهم إلى الاستفادة من علوم العصر وفنونه واقتباس وسائل الحضارة الحديثة من الأمم المتقدمة بشرط عدم الذوبان فيها أو تقليدها تقليدا أعمى، لذلك خاطب المسلم الجزائرى مرشدا إياه إلى السبيل الأقوم للرقى فكريا وماديا، فقال: احذر كل مُتعلّم يزهدك فى علم من العلوم، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن الكريم بالآيات الصريحة... حافظ على مالك فهو قوام أعمالك، فاسلك كل سبيل مشروع لتحصيله وتنميته، وأطرق كل باب خير لبذله، حافظ على حياتك، ولا حياة لك إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك)<sup>5</sup>.

فهذا الإمام ابن باديس يرى بأن النهوض بالأمة يتم بالمحافظة على التراث واقتباس الحضارة الحديثة (وقد وضّح موقفه بإيجاز، فى حوار مع مجموعة من الشباب الجزائريين

1 - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص.18.

2 - عمار طالبي: آثار ابن باديس، ج1، ص10.

3 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التنكير من حديث البشير النذير، ص.18.

4 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة فى كفاح الجزائر (1830-1962)، ص 119-120.

5 - المرجع نفسه، ص.109.

المتقف بالثقافة الفرنسية فى مقال له سنة 1935 فى مجلة الشهاب قائلا " عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه بما عندكم من علم وما اقتبستم من خبرة، محافظين لها على مقوماتها، سائرين بها فى موكب المدنية الحقبة بين الأمم )<sup>1</sup>، ( وبهذا تخدمون أنفسكم وتخدمون الإنسانية بإنهاض أمة عظيمة تاريخية من أممها، ثم لا يمنع هذا العلم من كل جهة وبأي لسان، واقتباس كل ما حسن مما عند غيرنا...)<sup>2</sup>.

وقد سار ابن باديس للنهوض بالأمة فى خطابه الإصلاحى (وفق منهج قويم متين الدعائم واضح المعالم نبيل الأهداف يجمع بين العلوم الدينية والخصائص الذاتية للأمة من نحو وبين الإقبال على تراث الإنسانية والاقتباس منه بما يساعدها على السمو بواقعها واستعادة مكانها بين الأمم من نحو ثان)<sup>3</sup>، فقد جمع الإمام عبد الحميد ابن باديس فى خطابه الإصلاحى بين التراث الإنسانى والاقتباس منه وبين علوم الدين ومقومات الأمة، مما يوصل إلى تحقيق مكانة للأمة والنهوض بها وهذا ما نراه (مع بداية العشرينيات من القرن الماضى تلاقت جهود بعض العلماء الجزائريين حول الحركة التى كان بن باديس قد وضع أسسها قبيل الحرب العالمية الأولى على طريق العمل والنهوض بالأمة، وقد هزّت وجدان هؤلاء العلماء مأساة شعبهم وما يتخبط فيه من احتلال أجنبى، واختلال اجتماعى، وانحلال أخلاقى، فعقدوا العزم على تخليصه من تلك الأدواء والعلل، بالعمل على درء ما تصدع من بناءه الحضارى وما أختل من قيمه ونظمه الاجتماعى، متأثرين فى ذلك بأفكار النهضة الإسلامية الحديثة)<sup>4</sup>، هذا يوضح الدور البارز للشيخ عبد الحميد ابن باديس للنهوض بالأمة خاصة عند حدوث أزمة بها، تخل بينائها الحضارى.

لقد استطاع ابن باديس بخطابه الإصلاحى ومميزاته (أن يعكس الوجدان الجماعى للأمة بقوة ويسهم بفاعلية فى مسيرة النهضة الحديثة ويحدوا بإخلاص وصدق وشجاعة تطلعات الأمة على طريق المستقبل الأفضل فى حقبة كانت من أشد الحقبات توترا فى تاريخ الجزائر المعاصر" لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس فكانت تلك ساعة

1 - الشهاب الجديد: السنة الأولى، عدد3، ص47.

2 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة فى كفاح الجزائر (1830-1962)، ص110.

3 - الشهاب الجديد، ص54،55.

4 - الشهاب الجديد، ص51،52.

يقظة، وبدأ الشعب الجزائرى المخذر يتحرك ويا لها من يقظة جميلة مباركة<sup>1</sup>، هذا ما رآه مالك بن نبي في زعيم الأمة ورائد نهضتها ابن باديس الذي استطاع (أن يلفت نظر الأمة إلى مكانة العلم في حياتها)<sup>2</sup>، ودعا إلى النهوض في الجانب التربوي والتعليمي وإبراز دور المعرفة في عملية البناء الحضاري.

#### د- الدعوة إلى التربية والتعليم:

أدرك الشيخ عبد الحميد ابن باديس في خطابه الإصلاحى ما للتربية والتعليم من دور أساسى في حركته الإصلاحية (وغرض التربية الوطنية عنده، هو المحافظة على الشخصية الإسلامية العربية بكل مقوماتها بل إثرائها وتجديدها، ولذا فإننا نجد في القانون الأساسى لجمعية التربية والتعليم الإسلامية التي أسسها سنة 1349هـ، 1930م أن غرضها من الوجهة التربوية هو تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية للمحافظة على دينهم، ولغتهم وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية تثقيف أفكارهم بالعلم، وتعليمهم الصنائع)<sup>3</sup>، لذا (يرى ابن باديس أن التعليم القائم على أساس العقيدة الإسلامية الصحيحة هو السبيل الأقوم لجعل الجزائريين يغيرون ما بأنفسهم)<sup>4</sup>، ( لذلك فقد كرس الإمام الشطر الأكبر من حياته لنشاط التربية والتعليم)<sup>5</sup>، فنجد في خطابه الإصلاحى يدعو إلى العلم ويوضح سبب دعوته لهذا العلم بقوله: (لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصايح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة)<sup>6</sup>.

ولأهمية التعليم في الخطاب الإصلاحى لابن باديس فقد (اتخذ من الجامع الأخضر بقسنطينة منطلقا لنشاطه التعليمى الإصلاحى، ثم امتد نشاطه إلى المدن الجزائرية الأخرى كالعاصمة ووهران وتلمسان حيث سافر إليها ويلقى دروسه في التفسير والحديث والحضارة الإسلامية ليتسع نطاق هذا التعليم)<sup>7</sup>، وكان هذا إرھاصا للعمل الإصلاحى التربوي المؤسسى

1 - الشهاب الجديد: السنة الأولى ، عدد3، ص52.

2 - المرجع نفسه، ص58.

3 - عمار الطالبي: آثار ابن باديس ، ج1، ص107.

4 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962) ، ص103.

5 - المرجع نفسه، ص103.

6 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص193.

7 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962) ، ص104.

المؤسسى المنظم (ففى سنة 1928 وجّه دعوته إلى الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربى الذين رأى فيهم الكفاءة والنزاهة والالتزام والاستعداد للعمل التربوى والإصلاحى فلبى دعوته كل من: الشيخ البشير الإبراهيمى، والشيخ العربى التبسى، والشيخ الطيب العقبى، والشيخ المبارك الميلى، والشيخ السعيد الزاهرى، والشيخ محمد خير الدين)<sup>1</sup>، فقد كان الإمام ( يوجّههم إلى فتح المدارس فى مناطقهم، فظهرت عشرات المدارس الحرة عبر مختلف جهات الوطن بفضل مجهودات الشعب وتبرعاته)<sup>2</sup>.

فالخطاب الإصلاحى لابن باديس كان باللغة العربية الحية لذلك (كان يسعى إلى تربية تلاميذه على حب العربية وعلومها واتخاذها لغة التواصل، وتعلمها على أنها لغة حية حوت كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول عليه سحائب الرحمة "فإننا نربي . والحمد لله . تلامذتنا على القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين نعلق آمالنا)<sup>3</sup>، لذا نجد ابن باديس قد اتخذ الأساس فى خطابه الإصلاحى وكذا فى تعلمه الأول (ما يحكيه الإبراهيمى فى طريقة تعلمه هو فى صغره أنه حفظ القرآن وفهم مفرداته وغريبه وألفية بن مالك، ومعظم الكافية وألفية ابن معطى، وألفيتى الحافظ العراقى فى السير والأثر وجمع الجوامع فى الأصول وكتبا أخرى)<sup>4</sup>.

ويوضح ابن باديس فى خطابه الإصلاحى أن التربية الإسلامية هى التربية الحقة فهو يقول: (وبهذه التربية استطعنا رغم الفاقة ورغم الجوع ورغم التثبيط والمعاكسة أن نحافظ على قرآننا وخطنا وبقايا علوم لغتنا وديانتنا وجملة معارفنا، واندفعنا إلى تأسيس المكاتب العربية رغم ما يحول بينها وبيننا واندفعنا إلى المكاتب الحكومية فضاقت عنا وبقيت مئات الآلاف فى أنياب الجهل والفقر من أبنائنا)<sup>5</sup>، فهو يعتبر أن هذه التربية هى التى تقود الأمة الأمة وتحقق إصلاحها وكذا التعليم المسجدي الذى ينهض بالرسالة التربوية للمعرفة، فالخطب الإصلاحية لابن باديس وحركته (لم تكن لتكفى بأسلوب التعليم النظامى فى

1 - محمد خير الدين: مذكرات، ج1، ص83.

2 - سعيد بورنان: المرجع السابق، ص104.

3 - عمار الطالبي: ابن باديس حياته وأثاره، ج2، ط1، وزارة الشؤون الدينية، 1984 الجزائر، ص142.

4 - البشير الإبراهيمى: مجلة مجمع اللغة العربية، عدد21، ص136.

5 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص144.

المدارس التى أنشأها وما يتطلب ذلك من برنامج وبحث تربوي وبيداغوجيات عصرية ،بل كانت تتجاوز ذلك إلى تلك الدروس التى كانت تعطى لفئات كثيرة من أبناء الشعب عبر المساجد وبين أوقات الصلاة.

ومن ذلك تلك الدروس المنتظمة فى الوعظ والإرشاد والتربية المدنية والتاريخ والأدب والحضارة الإنسانية<sup>1</sup>، إلى جانب هذا(أنشأت مدارس حرة لتلقين تعليم عصري يرسخ المبادئ الإصلاحية)<sup>2</sup>.

وقد صرح الشيخ عبد الحميد بن باديس فى خطابه الإصلاحى ( بعزمه على تطبيق ما دعا إليه من ركائز هذا الإصلاح التربوي فى جميع ما ينهض به عمليا فى الحقل التربوي والدعوي "ونحن بعد أن بيّنا تعليم الدين من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن عمل السلف الصالح من أهل القرون الفاضلة المحمودة، ومنهم إمامنا دار الهجرة مالك، فإننا عقدنا العزم على إصلاح التعليم الدينى فى دروسنا حسب ما تبلغ إليه طاقتنا إن شاء الله تعالى"<sup>3</sup>.

ومن مظاهر الخطاب الإصلاحى لابن باديس ما سجله الشيخ الإبراهيمي عنه (ويشيد بأثار مشروعه التربوي على حاضر الأمة ومستقبلها فيقول " ورأيت بعيني النتائج التي حصل عليها أبناء الشعب الجزائري، فى بضع سنوات من تعليم بن باديس، واعتقدت من ذلك اليوم أن هذه الحركة المباركة لها بُعدها، وأن هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس، هي حجر الأساس فى نهضة عربية فى الجزائر، وأن هذه المجموعة من التلاميذ التي تناهز الألف هي الكتيبة الأولى من جند الجزائر"<sup>4</sup>.

لقد أدرك الشيخ عبد الحميد بن باديس (أن التعليم النافع هو الذي يوظف فى العلم فيما ينفذ الفرد والمجتمع وهو الذي يسهم بإيجابية وفاعلية فى رقي المجتمع، ولم تكن رؤيته للتعليم قاصرة وترى فيه ظاهرة إنسانية تقف عند مرحلة معينة أو تنتهى عند سن معينة أو مستوى معين، بل غير ذلك تماما فالتعليم فى منظوره يشمل الصغار والكبار والمرأة والرجل

1 - الشهاب الجديد: السنة الأولى ، عدد 3 ، ص32.

2 - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ص82.

3 - الشهاب الجديد ، ص69.

4 - الشهاب الجديد ، ص70.

ليتمكن الجميع من التكيف مع التجديدات المعرفية داخل المجتمع ومن ثم مواجهة التغيرات الثقافية والاجتماعية<sup>1</sup>.

لذلك نجد أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يهمل في خطابه الإصلاحى الاهتمام بالمرأة (فقام بحملة توعية شاملة في كافة القطر الجزائرى لترغيب وإقناع الآباء بواجب تعليم البنات لتكون منهن المسلمة المتعلمة)<sup>2</sup>، فهو يقول: "الجزائرية بدينها ولغتها وقوميتها، فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد لنا أولادا منا ولنا يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية، ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره ولا يتكبرون لأمتهم ولو تتكر لهم الناس أجمعون"<sup>3</sup> لذلك نرى اهتمامه بتعليم المرأة وإصلاحها ويوجّه بخطابه الإصلاحى عن المرأة بقوله: (إذا أردتم إصلاح المرأة الحقيقي فارتفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترتفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها، وأما حجاب الستر فإنه ما ضرّ بها زمان تقدمها، فلقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانا عاليا في العلم وهن متحجبات)<sup>4</sup>.

وتقول الأستاذة زهور ونيسي (... فعلى الأقل من أجل عدم التردد في مصير الإناث من الجيل الصاعد وتمكينه من الثقافة والعلم ليحتل مكانه في ميدان العمل والإنتاج والمساهمة في البناء الوطنى، ولا يبقى مشلولا سلبيا يشكل أحد أهم أسباب التخلف للمجتمع)<sup>5</sup>.

نجد من ثمار الخطاب الإصلاحى لابن باديس في تعليمه للمرأة هذه الأستاذة والأديبة والوزيرة والمجاهدة زهور ونيسي التي كانت من البنات الجزائريات اللواتى تربيّن وتعلمن في مدارس جمعية العلماء واحتلت المرتبة الأولى في امتحان شهادة الدراسة الابتدائية وهاهى نراها بأقوالها تساهم في بناء الأمة وتوعية المجتمع.

1 - محمد خير الدين: مذكرات، ج1، ص82.

2 - سعد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)، ص117.

3 - المرجع نفسه، ص118.

4 - المرجع نفسه، ص119.

5 - زهور ونيسي: ( قضية المرأة والتحرر والثورة الاجتماعية )، مجلة الثقافة، عدد26، وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية، 1975م، ص80.

وكذا فى خطاب الإمام ابن باديس لم يهمل أيضا جانب الشباب، فقد كان (يرى فى الشباب الجزائرى الطاقة المعطلة بحكم تعرضه لظروف قاسية وأنّ ما تحتاج إليه هذه الطاقة هو التربية وحسن القيادة والتوجيه، لذلك وجّه الإمام ابن باديس جزءا كبيرا من عنايته للشباب، وقد تجلّى ذلك فى تخصيصه دروسا يومية السبت والأحد وتنظيمه ضمن هياكل شبابية كالجمعيات الرياضية، والموسيقية والكشافية)<sup>1</sup>، ولهذا نجد أن ابن باديس (عُني بتربية الشباب الجزائرى تربية أخلاقية قويمة فى المدرسة والمجتمع لأن التربية هى العاصم للفتى والفتاة من الانحرافات الخلقية والوطنية)<sup>2</sup>، لذلك نجده فى خطابه الإصلاحى ركّز على الشباب الجزائرى تركيزا قويا (ولقد جند الإمام الرئيس كل طاقته لتنظيم الشباب الجزائرى وتربيته وتعليمه وتتجلى خطته فيما يأتى:

- تكوين أفواج الكشافة الإسلامية التى أسسها هو وتلاميذه ومساعدوه ومنها فوج "الرجاء" و "الصباح" اللذان عناهما بقوله:

يا نشئ أنت "رجاؤنا" وبك "الصباح" قد اقترب

- تكوين جمعية إصلاحية مهمتها رعاية الطلبة الوافدين إلى قسنطينة حيث كان يحصل كل طالب على كفايته من الطعام والمأوى)<sup>3</sup>.

فقد كوّن الإمام ابن باديس هذه الجمعيات ليصل خطابه الإصلاحى إلى الشباب بتربيته وتعليمه فقد كان الإمام مخاطبا ومطبقا ليتحقق وجه خطابه الإصلاحى على الواقع فقد (كان ابن باديس صاحب هذا المشروع الحضارى يجمع فى شخصيته مميزات شخصيتين عريقتين كان لهما باع طويل فى حركة النهضة العربية فى القرن العشرين وهما : شخصيتى "جمال الدين الأفغانى" الثائرة وشخصية "محمد عبده" الهادئة)<sup>4</sup>.

- فإذا قارنا بين منهج الإمام ابن باديس ومنهج هذين الشخصيتين فإننا نجد:

1 - عبد الرزاق قسوم : (ابن باديس والشباب) ، عدد 1، الجزائر، مجلة الرسالة، 1980، ص44.

2 - الشهاب الجديد: السنة الأولى، عدد 3، ص40.

3 - عبد الرزاق قسوم: المرجع السابق، ص44.

4 - الشهاب الجديد: السنة الأولى، عدد 3، ص30.

أولاً: (أن ابن باديس انطلق فى نهضته من قاعدة محلية مركزا عليها، وهى بلاده الجزائر، نظرا للأوضاع الصعبة التى كانت تمر بها، بينما انطلق الأفغانى ومحمد عبده إلى أهداف قومية لم يضعها لها الأرضية المحلية.

ثانياً: أن نهضة ابن باديس ركزت على القاعدة الشعبية جماهير الشعب التواق إلى الحرية والعلم والتقدم، بينما اكتفى الشيخ محمد عبده بالتأثير فى النخبة التى يشكل الطلبة معظمها)<sup>1</sup>، لذلك فإن شخصية ابن باديس شخصية فذة، وكذلك إذا أجرينا مقارنة فى التربية عنده والتربية عند الدول المتقدمة فإننا نجد (أن التربية عند ابن باديس تختلف عن التربية فى البلاد المتقدمة كفرنسا وبريطانيا مثلا، لأن التربية عند هذه الشعوب، تهدف إلى استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، أما التربية عند المصلح الجزائرى فإنها تهدف إلى تغيير الواقع تغييرا جوهريا فى كافة مناحي الحياة)<sup>2</sup>، ونشرها فى كافة أنحاء القطر الجزائرى وذلك باتخاذ الصحافة وسيلة لبث أفكاره الإصلاحية إلى الشعب لتغيير أوضاعه.

#### هـ - اتخاذ الصحافة وسيلة لنشر الدعوة الإصلاحية:

لقد أدرك الإمام ابن باديس فى خطابه الإصلاحى (ما للصحافة من أهمية فى تعليم المواطنين وتوعيتهم، كما أدرك أنها وسيلة تتيح لحركته التربوية الإصلاحية الاتصال بجمهور الشعب الجزائرى فى كافة أنحاء القطر، لذلك قرّر أن يدخل "عالم الصحافة العظيم" كما وصفه.

بدأ الإمام الكتابة الصحفية فى جريدة "النجاح" سنة 1919، فكان ينشر فيها مقالاته، لكنه ما لبث أن انفصل عنها بعد أن انحرف صاحبها عن الخط الوطنى وجعل من صحيفته لسانا من السنة الإدارة الاستعمارية)<sup>3</sup>، (ولما كان القانون يجيز حق إصدار الصحف فقد سارعت نخبة من العلماء فى قسنطينة بتأثير من الشيخ ابن باديس إلى إنشاء

1 - الشهاب الجديد ، ص31.

2 - المرجع نفسه، ص41.

3 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة فى كفاح الجزائر (1830-1962) ، ص104.

جريدة المنتقد<sup>1</sup>، التي كانت تتقد الطرق الفاسدة بالإضافة إلى أنها (كانت عنيفة جدا في انتقاد تصرفات الإدارة الاستعمارية)<sup>2</sup>.

لكن سرعان ما (بادر الاحتلال الفرنسى بإغلاق جريدة المنتقد للشيخ عبد الحميد بن باديس نهائيا، بعد أشهر قلائل من صدورها حيث لم يصدر منها إلا 18 عددا)<sup>3</sup>، وذلك لأن الشيخ الصحافى الكبير عبد الحميد ابن باديس كان ينشر خطابه الإصلاحية في هذه الجريدة لذا كان إيقاف الجريدة من طرف المستعمر الفرنسى من الصعوبات والعراقيل الجمة التي واجهت الخطاب الإصلاحى لابن باديس غير أنه لم يتوقف عن ذلك، لأنه كان يريد إيصال خطابه الإصلاحى مهما كانت الصعوبات (فاصدر في العام نفسه "الشهاب" التي استمرت في الصدور خمسة عشر عاما <1925. 1939> جريدة أسبوعية في البداية ثم تحولت إلى مجلة شهرية)<sup>4</sup>، فكان خطابه الإصلاحى في هذه الجريدة فيه (نوع من المرونة السياسية التي برع فيها، خلال عقدين من الزمن، فخفف اللهجة وسار على خطة المنتقد)<sup>5</sup> و(بقيت الشهاب مُلكا للإمام، يحرر معظم أبوابها، ويكتب مقالاتها الرئيسية، فضلا عما كان ينشر له في جرائد جمعية العلماء التي ظهرت خلال الثلاثينيات)<sup>6</sup>، وهي ( السنة، الصراط، الشريعة، البصائر سنة 1931)<sup>7</sup>.

ولقد نجحت الشهاب في نشر الخطاب الإصلاحى ومحاربة البدع والضلالات وأعدت للدين صفاؤه وقد عبّر عن ذلك الشيخ ابن باديس فقال: ( فإن مجلة الشهاب تفخر بأنها أنشأت للحركة الإصلاحية ورافقتها في جميع مراحلها، وأنها هاجمت البدع في معقلها...)<sup>8</sup>، فنجاح هذه المجلة في نشرها للخطاب الإصلاحى يعني نجاح الخطاب الإصلاحى الذي قام به عبد الحميد بن باديس وهذا هو هدفه من إصدار كتاباته في هذه المجلة والتي (صدر منها 15 مجلد، وأوقفها ابن باديس سنة 1939 بسبب ظروف الحرب

1 - عبد الكريم بوالصفاصاف: جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945، ص80.  
2 - سعيد بورنان: المرجع السابق، ص105.  
3 - عمار الطالبي: ابن باديس حياته وآثاره، ج3، ص97.  
4 - سعيد بورنان: المرجع السابق، ص105.  
5 - عبد الكريم بوالصفاصاف: المرجع السابق، ص140.  
6 - سعيد بورنان: المرجع السابق، ص105.  
7 - حسن عبد الرحمان سلوادي: عبد الحميد ابن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص56.  
8 - تركي رايح: (الشهاب لسان الإسلام العروبة والوطنية في الجزائر 1925- 1939 ودورها في نهضة الجزائر)، مجلة الثقافة، عدد 81، ص206.

العالمية الثانية)<sup>1</sup>، ثم ظهرت بعدها جريدة البصائر ولعل هذه الجريدة كانت أكثر فاعلية في نشر الخطاب الإصلاحى (الصادرة يوم الفاتح شوال عيد الفطر عام 1354هـ، الموافق ليوم 27 ديسمبر 1935م، وقد صدرت في عهد حكومة الواجهة الشعبية الاشتراكية الفرنسية فكانت إيذانا ببدء عهد جديد من كفاح النهضة الوطنية)<sup>2</sup>، وتعد هذه الجريدة من أشهر الصحف العربية التي ظهرت في العصر الحديث، ومن أكثر الجرائد الجزائرية رواجاً في الداخل وفي الخارج)<sup>3</sup>، فقد كان عبد الحميد بن باديس ينشر كتاباته وخطابه الإصلاحى في هذه الجريدة التي حظيت بمكانة عالية وشهدت انتشاراً واسعاً (وكان في السنة الأخيرة لتعطيلها هو الروح المقوم لها، فكان يغذّيها بنفحات من روحه ونفثات من قلمه، وكان يعلق آماله في ترقيتها على رفيقه)<sup>4</sup>، البشير الإبراهيمي الذي قال عن ابن باديس أنه (كان - رحمه الله - يشدّ عليّ في اللوم ويعصمني بالتقصير في حق البصائر)<sup>5</sup>.

فهذا يبين جهد ابن باديس الذي يريد به تحقيق خطابه الإصلاحى لتسوية أوضاع الأمة وإصلاحها لذلك كان حريصاً على هذه الجرائد و المجلات لأنها وسيلة أساسية في نشر الخطاب الإصلاحى، كما نجد ممارسة (أفراد طلبة البعثة الجزائرية التي أوفدها ابن باديس إلى تونس، نشاطاً فكرياً وأدبياً، وشاركوا في الكتابة في الصحف والمجلات التونسية)<sup>6</sup>.

بالإضافة إلى أن ابن باديس (كان ينشر مقالاته مترجمة إلى الفرنسية في جريدة "الدفاع"، La défense التي أصدرها العلماء بالفرنسية بهدف إيصال أفكارهم الإصلاحية إلى الجزائريين الذين تعلموا في المدارس الفرنسية ولم ينالوا حصّهم من لغتهم الوطنية)<sup>7</sup>، حيث أنه لم يكتفي بنشر خطابه الإصلاحى في بعض الجرائد فقط بل كان يستقطب كثير من الجرائد والمجلات للكتابة فيها حيث أنه كان (يطالع الجرائد والمجلات

1 - محمد الحسن فضلاء: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دط، دار الهومة، الجزائر، 2000م، ص85.

2 - محمد البشير الإبراهيمي: مجموعة جريدة البصائر، السنة الأولى، ص30.

3 - المصدر نفسه، ص (ج).

4 - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ط1، ج3، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص56.

5 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6 - محمد الصالح الجابري: (المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية)، مجلة الثقافة، العدد102، ص19.

7 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)، ص105.

التي تُصدر في الجزائر سواء بالعربية أو الفرنسية التي كان يقرأها ولا يتكلمها، وكذلك الجرائد التي تصدر خارج الجزائر خاصة في الوطن العربي، فيناقش كتابها فيما يكتبون حول المسائل الجزائرية، وينقل منها بعض مقالاتها وينشرها في "الشهاب" أحيانا أخرى<sup>1</sup>.

كما نجد (أن صحافة جمعية العلماء الجزائريين مواضيعها تتم بالأفكار الإصلاحية ومنها إقامة مدارس عربية للمسلمين الجزائريين، و تعليم الناس، كما حاربت البدع والخرافات الدينية والطرق الصوفية المنحرفة و الانحطاط الأخلاقي الذي انتشر في المجتمع الجزائري، ولأجل تحقيق هذه الأهداف، نهضت جرائد الجمعية بدور فعال في تحريك عجلة الإصلاح، بالتركيز على نشر الخطابات الإصلاحية)<sup>2</sup>.

فقد كان لها دور في النهوض بالجزائر بفضل تلك الجرائد والمجلات التي كانت تنشر أفكارها وتحارب ما يعيق مسار خطابها الإصلاحى فهذا ما قام به عبد الحميد ابن باديس في عدة مجلات وجرائد والتي تركت صداها حتى بعد وفاته حيث نجد خطاب فخامة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة في جريدة الشهاب الجديد بمناسبة الاحتفال بيوم العلم في قسنطينة الأربعاء 16 أبريل 2003 ولناخذ خطابا من ذلك فهو يقول: (ذروني أيها السادة الأفاضل، أيتها السيدات الفضليات، ذروني أعود إلى ما اجتمعنا من أجله في يوم العلم هذا، ما عظمت أمة العلم إلا عظمتها، وما قدرته إلا رفع شأنها، وجعل كلمتها هي العليا، أنتم الآن إذ تحتفلون بيوم العلم إنما تبدون ما له لدى أمتكم من تجلّة وإكبار)<sup>3</sup>، وقد حثّ على طلب العلم والمعرفة موجهها خطابها إلى الحضور في تكلمه عن الإنسان الفرد قائلا عنه: ( إذا شاء أن يرقى في مدارج العلم والمعرفة، فعليه أن ينقب بحثا في تلافيف الأدمغة، حيث تتوارى العبقريّة ويختبئ الإبداع، ولن يتأتى هذا إلا بالمهرة المختصين في كل فن من أساتذة ومعلمين، العاملين على تنمية الوطن وترقيته، وبالشباب من طالبات وطلاب المعرفة التواقين إلى أن يكونوا جديرين بهذا الوطن وتاريخه الحضاري والنضالي)<sup>4</sup>.

1 - المرجع نفسه، ص105.

2 - محمد البشير الإبراهيمي : مجموعة جريدة البصائر، السنة الأولى، ص5-6.

3 - الشهاب الجديد: السنة الأولى، عدد3، ص15.

4 - الشهاب الجديد، الصفحة نفسها .

وهكذا فإن عبد الحميد ابن باديس ترك أثرا كبيرا له، فهذه الجرائد والمجلات مازالت تنشر المعارف والعلوم الجديدة وخطابات الشخصيات البارزة كما أننا نجد (المتصفح للصحف العربية في الجزائر خلال عقد الثلاثينيات يجد فصولا كاملة من كتب العلماء المؤرخين، التي كانت تنشرها الصحافة المذكورة لقراء العربية مستهدفة إطلاع الجماهير على مراحل الكفاح، الذي سجّله الأجداد في مختلف العصور ضد المحتلين الأجانب)<sup>1</sup>.

وكذا نجد إدراك عبد الحميد ابن باديس ما للطباعة من أهمية لخطابه الإصلاحى (في نشر الثقافة وإحداث نهضة فكرية في المجتمع، أنشأ ابن باديس مطبعة بقسنطينة يوم 16 أبريل 1926 وهي "المطبعة الإسلامية" فبفضل العون المادى والأدبى الذي وجده من بعض تلاميذه منهم أحمد بوشمال وبإعانة من والده استطاع الإمام أن يخرج مشروعه إلى الوجود، وقد تولت المطبعة نشر صحف جمعية العلماء، وصحف أخرى وطنية، إضافة إلى الكتب والمنشورات المختلفة، ولم تكن تطبع أي منشور يناقض الروح الوطنية، وكان لهذه المطبعة شرف طبع بيانات الثورة وبطاقات التعريف الأولى لجنود جيش التحرير الوطنى في سنة 1954.

أدركت سلطات الاستعمار خطورة ما كان يقوم به الإمام من أعمال في حقل التربية والإصلاح ورأت أنها تستطيع القضاء على دعوته إذ هي حركت أعوانها من أصحاب الطرق)<sup>2</sup>.

1 - عبد الكريم بالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945 ، ص201-202.  
2 - سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830- 1962) ، ص105-106.

تعتبر المقالة التي تعالج قضايا ومشاكل المجتمع انطلاقا من موضوعات مستمدة من روح الواقع، مقالة إصلاحية اجتماعية، التي اشتهر بها كتاب الحركة الإصلاحية ( واعتوا فيها - إلى جانب الفكرة - بالتعبير والتصوير واهتموا باللغة لا من حيث نقائها وصفائها ومرونتها، بل عنوا بها من حيث الإيحاء وجمال التعبير ومراعاة الصورة البيانية )<sup>1</sup>.

هذا ما بنى عليه ابن باديس خطابه الإصلاحى من خلال مقالته " إجابة لصوت الواجب " التي مثلت النموذج الأدبي الإصلاحى بأعلى صورة، فقد جمع فيها بين الفكرة الإصلاحية في المضمون و بين الجمال الأدبي في تعبيره وعنايته بالأساليب المتنوعة. **أولا: من حيث الأسلوب.**

لقد تميز أسلوب عبد الحميد ابن باديس في مقالته " اجابة لصوت الواجب" بالثراء الفني، وتسلسل الأفكار في عرضه لقضية حاسمة في مقالته ، بالإضافة إلى أصالة معارفه المستمدة من القرآن الكريم والتراث الإسلامى لذا نجد أسلوبه يتسم بطابع إسلامى بحت، وكذا نجد في مقاله عصرنته للمضامين المستمدة من قلب المجتمع الجزائرى، فهو يعالج قضية المجتمع الجزائرى بأسلوب إصلاحى هادف في محاربتة للطرق الصوفية، هذا الأسلوب الذي بلغ شأوا في مقاله من خلال معانيه و آرائه في هذه القضية، التي أراد بها تغيير أفكار المجتمع الجزائرى.

فالقارئ لمقاله سيتوقف عند العديد من المحطات التأثيرية، ويعود ذلك إلى ايمانه الصادق بما يقول، بهدف اىصال أفكاره الإصلاحية إلى العالم العربى والإسلامى وليس المجتمع الجزائرى فقط، ويتضح ذلك في اتخاذه أسلوب التعميم حيث يقول: ( ليس ما ندعوا إليه ونسير على مبادئه من الإصلاح بالأمر الذي يخص المسلم الجزائرى ولا ينتفع به سواه كلاً، فإن صحة العقيدة، واستنارة الفكر، وطهارة النفس، وكمال الخلق، واستقامة العمل وهذا

<sup>1</sup> - عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائرى الحديث ، دار العربية للكتاب ، سنة 1978، ص138.

هو الإصلاح كله مما يشترك به جميع المسلمين بل جميع بني الإنسان، وإنما نذكر الجزائري لإشعاره بوجوده، فيعمل لإسلامه وجزائريته<sup>1</sup>.

ومثال على أسلوب التعميم في مقاله قوله: ( لقد أدخلت على نمط الحكم الإسلامى الشورى بدعة الاستبداد الفردى التى أمانت ضمائر الأمم وذهبت بكبريات الممالك)<sup>2</sup>.

فقد كان ابن باديس (منفتحاً على عالمه العربى والإسلامى بآلامه وآماله... انفتاحاً واتصالاً فكرياً وروحياً)<sup>3</sup>، لذا نجد مقاله نابعة من أعماق قلبه وصدق فى أحاسيسه، تأج بآلامه وأفكاره وطموحاته...

كما اتبع ابن باديس أسلوب التهذيب فى كتابته مقاله، الذى يهدف إلى تطهير النفس من الرذائل وما أدخل من شبهات على الدين الإسلامى، ويوضح لنا ابن باديس أهمية هذا التهذيب بقوله: (كما تحتاج الأبدان إلى غذاء من المطعوم والمشروب، كذلك تحتاج العقول إلى غذاء من الأدب الراقى والعلم الصحيح، ولا تستقيم سلوك أمة وتتقطع الرذيلة من طبقاتها وتنتشر الفضيلة بينهم إلا إذا تغذت عقول أبنائها بهذا الغذاء النفيس، فنحن ننشر المقالات العلمية والأدبية، وكل ما يغذى العقول من منظوم ومنثور من صحف الشرق والغرب وأقلام كتاب الوطن، ونقاوم كل معوج من الأخلاق وفساد العادات، ونحارب على الخصوص البدع التى أدخلت على الدين الذى هو قوام الإخلاص فأفسدته، وعاد وبال ذلك الفساد علينا وتأخرنا من حيث يكون تقدمنا وسقطنا بما لا نرتفع إلا به لما شوهناه بإدخال ما هو ضده عليه)<sup>4</sup>.

نضرب على هذا الأسلوب مثالين من مقاله، (هذا بيان القرآن الذى ما بعده بيان لحقيقة الولاية وحققها، ولتفاوت أهلها فى منازلهم، ولجزائهم المتفاوت كذلك عند ربهم)<sup>5</sup>، فهو يبين

<sup>1</sup> فهمي توفيق محمد مقل: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة فى تاريخ الجزائر الحديث (1889-1940)، (د ت)، ص23.

<sup>2</sup> - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد13، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، الخميس 5 ربيع الأول 1344هـ - 24 سبتمبر 1925م، ص220.

<sup>3</sup> - فهمي توفيق محمد مقل: المرجع السابق، ص24.

<sup>4</sup> - عمار الطالبي: ابن باديس حياته وآثاره، ج3، ص279-280.

<sup>5</sup> - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص219.

حقيقة الولاية لأهل الدين الإسلامى الصحيح وليس لمحرفيه من أهل الطرقية، فهذا أسلوب تهذيبى، ليأخذ كل ذي حق حقه.

كما نجد مثال آخر يوجه فيه ابن باديس واجب الشيوخ والعلماء وارشادهم فيقول: ( وأن يكونوا قدوة للأمة في قول الحق وقبوله ممن جاء به، وأن يكونوا دعاة لها إلى ما دعاها القرآن إليه)<sup>1</sup>.

فقد اتخذ أسلوب التهذيب هدفاً لإصلاح الأمة، وإبعاد الفساد عنها، كما اتخذ أسلوب التذكير في مقاله، حتى يترسخ في ذهن الأمة معالم الإصلاح وتوجههم إلى الطريق الصحيح، وهو أسلوب من أساليب القرآن الكريم التي صبغ بها الله عز وجل كتابه العظيم ليدل خلقه عليه، وعلى قدرته وعظمته سبحانه.

ويرى ابن باديس أن حقيقة التذكير هو (أن تقول لغيرك قولاً يذكر ما كان به جاهلاً، أو عنه ناسياً أو غافلاً)<sup>2</sup>، لذلك نجده في مقاله استعمل هذا الأسلوب للتذكير بأية الولاية من سورة يونس بنصها ومفهومها وأسلوب نظمها، وذلك ليدرك الغافل ما كان به ناسياً، يقول ابن باديس عن هذا الأسلوب (وحاجة العباد إلى هذا التذكير أعظم ما يحتاجون إليه وأشرف وألزم، فإن سعادتهم الحقيقية في هذه الحياة بإنارة عقولهم، وزكاة نفوسهم واستقامة سلوكهم، وفي الحياة الآخرة بنعيم الجنان، وحلول الرضوان، إنما هي بإيمانهم بربهم، وشكرهم له، وإنّ من دلائل وجوده و وحدانيته و قيوميته، وآثار فضله وإحسانه ورحمته ماثلة في الكون بادية للعيان، داعية إلى الشكر، هادية إلى الإيمان، لكن العقول كثيراً ما تكون مغلولة بقيود أهوائها، محجوبة بحجب غفلتها، فتعمى عن تلك الدلائل والآثار، فتكفر كفر جحود أو كفر عصيان وطغيان، ويكون تورطها في كبائر الذنوب وصغائرها على مقدار تلك الحجب وتلك القيود وليس لغير من عصم الله انفكاك أو خروج منها كلها، فهم إذن بأشد الحاجة إلى تذكيرهم بتلك الدلائل وتلك الآثار)<sup>3</sup>.

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، ص 223.

2 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 25.

3 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لذا نجد ابن باديس قد وظّف هذا الأسلوب في مقاله لأن البناء الحضاري لا يتحقق إلا عن طريق استذكار تراث ماضيها المجيد، مع إمعان النظر في هذه المخلفات بالتصحيح والاستدراك ومن ثم دمجها بالحاضر، هذا التلاحق يحدث نقلة للأمة من السوء إلى الأحسن، ومن الباطل إلى الحق، لذا نجده في مقاله يذكرنا بالرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، حين اتّهم أهل البدع والدعاوي العلماء الصالحين بعلم الغيب، فقد وضّح ابن باديس هذا القول بتذكيرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم قال: ( فقالوا يعلمون الغيب والقرآن ينفي ذلك عن محمد صلى الله عليه وسلم)<sup>1</sup>، كما يذكّرنا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام من يوسف ويونس كما ذكرنا سابقاً في آية الولاية، وبالصحابية عليهم رضوان الله من أبي بكر وعمر ابن الخطاب وأبا ذر الغفاري في مقاله حين زعم شيوخ الزهد المتطرفين بأنهم معصومين من الخطأ فذكر ابن باديس في مقاله: ( بأن الشيخ الزاهد وإن فاق أبا ذر والإمام العالم وإن كان أعلم من أبي بكر وعمر غير معصومين من الخطأ في القول والعمل)<sup>2</sup>، لأن ابن باديس يرى أن من واجب المسلمين العناية بتاريخهم ومدنيتهم لما في ذلك من بيان لصالح الحال من فسادها، فقد قال عن ذلك (حق على كل من يدين بالإسلام ويهتدي بهدى القرآن أن يعتني بتاريخ العرب ومدنيتهم، وما كان من دولهم وخصائصهم قبل الإسلام، وذلك لارتباط تاريخهم بتاريخ الإسلام، ولعناية القرآن بهم، ولاختيار الله لهم لتبليغ دين الإسلام، وما فيه من آداب وحكم وفضائل إلى أمم الأرض)<sup>3</sup>.

فالأمة التي لا تعتر بتاريخها وصالح أعمال ماضيها، هي أمة محكوم عليها بالضعف والفسل في معظم مناحي الحياة، لذا نجد ابن باديس قد انتقى هذه الأساليب المناسبة في معالجة موضوعه، هذا التنوع في الأساليب ساعده في تثبيت الأفكار والتأكيد على الحقائق والقضايا التاريخية، لإيصال هدفه الإصلاحى إلى المجتمع، بالإضافة إلى اعتماده على مختلف الأساليب الأخرى.

<sup>1</sup> - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، عدد 13، ص 221.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 221.

<sup>3</sup> - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 389.

## التنوع في الأساليب:

نجد في مقالة ابن باديس مزج بين الأساليب المعروفة كالأسلوب الخبري، الذي يهدف إلى سرد الحقائق وإفادة القارئ في مثال قوله: (لقد كان أفضلهم من هذه الأمة . بإجماعها . سلفها وأهل القرون الثلاثة منها ثم جاء بعدهم ممن اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم، وما كانت سبيلهم التي تواترت عنهم الأسنة ذلك الرسول الأعظم، علم بلا تكلف، وعبادة بلا تقطع، وزهد بلا ترهبين، وإرشاد للخلق بنصوص الكتاب وأحاديث محمد صلى الله عليه وسلم)<sup>1</sup> فالغرض الأدبي من ذلك هو " فائدة الخير " لأنه أراد إخبار القارئ وإفادته.

كما نجد من أساليبه الخبرية حين أخبرنا عن سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه، قال ابن باديس: ( فرحم الله هذا الرجل العظيم وأمثاله الصالحين وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً)<sup>2</sup>، فالغرض الأدبي من هذا الخبر هو " المدح".

وكما يخبرنا عن الفئة المنحرفة من أهل الطرق الصوفية بقوله: (يرمون إخوانهم أهل الدعوة والإرشاد بهذا وهم يعلمون أنهم ما أنكروا عليهم شيئاً مما انتسبوا إليه من الحق، وإنما أنكروا عليهم شفقة ونصحا ما تورطوا فيه من الباطل، وأنهم لا ينكرون ما أحدثه المحدثون بعدهم، وكثيرا ما كان هذا منهم سببا في إخراج الدعاة وإغضابهم حتى يقابلوهم بشدة النكير عليهم فتتسع شقة الخلاف بينهم وتحرم الأمة من ثمرة ذلك الإرشاد)<sup>3</sup>.

فقد وظّف ابن باديس هذا الأسلوب الخبري الذي غرضه إظهار الحسرة والأسى والحزن على أهل الدعوة والإرشاد، ليبين مظاهر الطرق الصوفية في تعاملها مع إخوانها أهل الدعوة الإسلامية الحقّة.

وكذا من أساليبه الخبرية التي تحمل غرض النصيحة نجد ما تقدم به ابن باديس للشيوخ والعلماء بقوله: ( بل الواجب عليهم أن يستمعوا القول فيتبعوا أحسنه)<sup>4</sup>.

أما الأساليب الإنشائية فهي الأخرى التي كان لها حضور في مقالته ومن ذلك نجد:

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد ، عدد13، ص220.

2 - المصدر نفسه، ص221-222.

3 - المصدر نفسه، ص222.

4 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد13 ، ص223.

### أسلوب الأمر:

الذي وظّفه ابن باديس في مقاله ونبين مثالين من ذلك بقوله: ( وليعلم الخراصون أنني إذا أردت أن أكتب فإنني لا أكتّم اسمي، وهاكم البيان قد علم كل مؤمن أن الله من عباد أولياء، وعرف كل تال للقرآن حُبهم من نص القرآن < أنهم أهل الإيمان والتقوى<sup>1</sup>، والغرض الأدبي من هذا الأمر هو " التبيين " أي اظهار للحقيقة الخفية.

كما نجد استعمال أسلوب الأمر بغرض النصح والإرشاد حين عرض لنا قول سيدي أحمد التيجاني حين قال:(ما وجدتموه من كلامي موافقا للكتاب والسنة فاقبلوه وما وجدتموه مخالفا فاطرحوه)<sup>2</sup>.

وسر الجمال في الأمر الأدبي الذي وظّفه ابن باديس هو أنه يجذب السامع بانتقاله من المعنى اللغوي إلى ما وراءه من الدلالات والمشاعر.

### أسلوب التعجب:

ومن أساليب التعجب التي اتبعتها ابن باديس نجد:

تعجبه من تصرفات أهل الطرق الصوفية المنحرفة بقوله: ( فيكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله في إثبات هذا الأصل ولزوم العمل به وأن تركه هو سبيل كل هلاك

وضلال هذا ! )<sup>3</sup>.

وكذا نجد من أساليب التعجب على وزن " ما أفعله":

يقول ابن باديس: (وما أشد غضبهم وحميتهم عندما تذكرهم بأن الشيخ الزاهد ، وإن فاق أبا ذر والإمام العالم، وإن كان أعلم من أبي بكر وعمر غير معصومين من الخطأ)<sup>4</sup>.

وكذلك ( وأنهم لا ينكرون " ما أحدثه " المحدثون بعدهم، وكثيرا ما كان هذا منهم سببا في إخراج الدعاة وإغضابهم)<sup>1</sup>.

1 - المصدر نفسه، ص 219.

2 - م ن، ص ن.

3 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد 13 ، ص 219.

4 - م ن، ص ن.

### أسلوب الاستفهام:

( ولكن التبعة كل التبعة على الرؤساء من الشيوخ والعلماء الذين ربما عرفوا كثيرا منهم الحق ثم سكنوا مدارين أو مجارين أو مراعين...؟)<sup>2</sup>، فالغرض الأدبي من هذا الاستفهام هو التعجب.

بهذه الأساليب المتنوعة والأغراض الأدبية المختلفة ساهمت في إغناء مقالة ابن باديس واعطائها طابعا متميزا.

### الصور البيانية:

تلعب الصور البيانية دورا هاما في مقالة ابن باديس بتجميل وتوشية كلامه، ولأن الصوري القالب الذي يصب فيه الأديب أفكاره ومعانيه وعواطفه، وبواسطة هذه الصور يستطيع الأديب أن ينقل حالات غامضة غير واضحة فإذا أظهرها في كلامه بدون إحياءات فإنها لا تثير فينا شيئا، لكن ابن باديس قد ترك مكانا واسعا لهذه الصور وذلك لشد انتباه السامع للمعنى أو القارئ وجعله منفعلا معه ومن ذلك نجد:

### التشبيه:

( أنا الحقير)<sup>3</sup> تشبيهه بليغ.

شبه نفسه بالحقير، فقد بالغ في ذلك، فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه لا ينقص من قيمة التشبيه، بل يكسب هذه الصورة قوة وجمالا، ذلك لأن التشبيه البليغ أجمل صور التشبيه إذ فيه يظهر طرفا التشبيه وكأنهما شيء واحد، فقد راعى ابن باديس بساطة التشبيه ليحمله مطابقا لمقتضى حال المخاطب.

### الاستعارة:

لقد حضرت الاستعارة في مقالة ابن باديس بشكل وافر وذلك لما له من ذوق فني رائع فهو مبدع في تركيب الصور وذلك لجذب القارئ والتفاعل مع موضوعه ومن ذلك نجد:

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 222.

<sup>2</sup> - م ن ، ص ن.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 223.

- (وليعلم الخراصون)<sup>1</sup>، استعارة تصريحية.
- استعار ابن باديس لفظة "الخرص" من معناها الحقيقي ليبدل بها على الاستعمار، فقد صرح بالمشبه به وهو الخراصون وحذف المشبه وهو الاستعمار.
- (لعل هذا الكويتب لا يشق غبارهم)<sup>2</sup>، استعارة مكنية.
- الكويتب هو المشبه أما المشبه به محذوف وترك صفة من صفاته وهي التشقق وهي من صفات الأرض فقد استعارها ابن باديس للكويتب.
- (لسان صحيفتكم الصادقة)<sup>3</sup>، استعارة مكنية.
- استعار ابن باديس للصحيفة صفة من صفات الإنسان وترك لازماً من لوازمه وهو اللسان والصدق، حيث ذكر المشبه وهو الصحيفة ولم يذكر المشبه به وهو الإنسان وترك لازماً من لوازمه وهو اللسان وصفة من صفاته الصدق.
- (بدعة الاستبداد الفردي التي أمانت ضمائر الأمم)<sup>4</sup>، استعارة مكنية.
- فقد استعار ابن باديس لفظة الموت وهي من خصائص أو لوازم الكائن الحي، البدعة هي المشبه، أما المشبه به لم يذكر بصراحة وإنما ذكرت له صفة ترمز إليه وهي الموت.
- (ذهبت بكبريات الممالك)<sup>5</sup>، استعارة مكنية.
- حيث أن بدعة الإستبداد الفردي كما ذكرنا سالفاً هي المشبه، أما المشبه به محذوف، وترك لازم من لوازمه وهو الذهاب، وهي من خصائص الكائن الحي.
- (أدخلت على مذهب أهل العلم بدعة التقليد العام)<sup>6</sup>، البدعة أدخلت، هنا استعارة مكنية.
- حيث ذكر المشبه وحذف المشبه به، وهو الإنسان وترك لازماً من لوازمه وهو الذهاب.

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد 13، ص 219.

2 - م ن، ص ن.

3 - م ن، ص ن.

4 - المصدر نفسه، ص 220.

5 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد 13، ص 220.

6 - م ن، ص ن.

- (التي أمانت الأفكار وحالت بين طلاب العلم)<sup>1</sup>، هنا استعارة مكنية. المشبه هو بدعة التقليد العام المذكورة سابقا، وحذف المشبه به وترك لازما من لوازمه وهو الموت وهي من لوازم الكائن الحي.

### المحسنات البديعية:

#### الجناس:

كان لهذا المحسن البديعي اللفظي نصيب في مقالته حيث نجد من أمثلة ذلك :

- (كما أدخلت على مذهب اهل العلم بدعة التقليد العام الجامد)<sup>2</sup>.  
- (فإن الأقوال والأفعال والأحوال لشيوخ الزهد جملة كما يؤخذ لما ثبت عن ثبتت له العصمة)<sup>3</sup>.  
- (من الشيوخ والعلماء الذين ربما عرفوا كثير منهم الحق ثم سكنوا مدارين أو مجارين أو مراعين، أو....؟! وليست المداراة ولا المجاراة ولا المراعاة مما يقوم لهم شبه عذر عند الله والمسلمين)<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص220.

<sup>2</sup> - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد13، ص220.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص221.

الجناس	نوعه	التوضيح
. العلم، العام	جناس ناقص	اختلفا في نوع الحروف (اللام والالف)
. الأقوال، الأحوال	جناس ناقص	اختلفا في نوع الحروف (القاف والحاء)
. مدارين، مجارين	جناس ناقص	اختلفا في نوع الحروف (الداال والجيم)
_ المداراة، المجارة	جناس ناقص	اختلفا في نوع الحروف (الداال والجيم)

وباعتبار الجناس محسنا لفظيا فقد وظفه ابن باديس في كلامه بطرق عفوية أي دون تكلف أو تصنع لذا نجده خفيفا تستسيغه الأذن، بما يحدثه من جرس موسيقي عذب يطرب له السمع ترتاح له النفس، ثم ان الجناس يثير ذهن السامع او القارئ حين يفاجئه بهذا التجانس، فيدفعه إلى التفكير لمعرفة الاختلاف واكتشاف جمال التعبير.

### الطباق والمقابلة:

فقد اتخذهما ابن باديس وسيلة لصب غضبه ونقده وهجومه على خصمه لبيان الحق، فقد استعمل الطباق بكثرة بهدف بيان الفرق الواسع بين السلف الصالح وأهل الطريقة المنحرفين ومن ذلك نجد حين تكلمه على السلف الصالح القول التالي: (ولا يضمنون لأحد من أبنائهم أو أتباعهم فوز الجنة ولا نجاة من النار)<sup>2</sup>.

وكذا نجد عند تحدّثه عن كتب الأئمة بعد تحريفها، في قوله: (وصارت معانيها الظاهرة بلغة الخفية مجهولة)<sup>3</sup>

وكذا نجد من الطباق:

- (أشرف خلقه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا)<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص222.

<sup>2</sup> - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد ، عدد13، ص220.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص220.

- (كما يؤخذ بما ثبت عن ثبت له العصمة اخذوا به من غير تثبت)<sup>2</sup>.
- (هذا الأصل لزوم العمل به وأن تركه سبب كل هلاك وضلال)<sup>3</sup>.
- وحين تحدث عن المسلمين بقوله: ( فلقد بروا ونصحوا ونجوا بهذه الكلمة ومثلها من كل تبعة تورط فيها المتورطين)<sup>4</sup>.
- وحين ذكر أهل الطرق الذين يرمون إخوانهم أهل الدعوة والإرشاد فقال: ( وهم يعلمون أنهم ما أنكروا عليهم شيئا مما انتسبوا إليه من الحق، وإنما أنكروا عليهم شفقة ونصحا ما تورطوا فيه من الباطل)<sup>5</sup>.
- و حين تكلم عن إخوانه قال: ( ودعايتهم إلى أصلي السعادة الدنيوية والأخروية)<sup>6</sup>.

نوعه	الطباق
طباق ايجاب	الجنة، النار
طباق ايجاب	الظاهرة، الخفية
طباق ايجاب	نفعاً، ضرراً
طباق سلب	ثبت، غير تثبت
طباق ايجاب	لزوم، تركه
طباق ايجاب	نجو، تورط
طباق سلب	ما أنكروا، أنكروا
طباق ايجاب	الحق، الباطل

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 221.

<sup>2</sup> - م ن ، ص ن .

<sup>3</sup> - م ن ، ص ن .

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 222.

<sup>5</sup> - م ن ، ص ن .

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 223.

الديبوية، الأخروية	طبق ايجاب
--------------------	-----------

كما نجد تأثير المقابلة في المعنى والأسلوب، فالمعنى يزداد وضوحا وقوة، بوضوح الشيء وما يقابله من ضد، لذا نجد أن ابن باديس قد وظّف هذا البديع لما فيه من جذب وانفعال للقارئ وإيضاح للمعنى، حتى يتسنى للقارئ فهمه بسهولة، ومن ذلك نجد في مقالته عن قول سيدي أحمد التيجاني: (ما وجدتموه من كلامي موافقا للكتاب والسنة فاقبلوه وما وجدتموه مخالفا فاطرحوه)<sup>1</sup>.

وكذلك نجد في مقاله قوله: (قد رأيت بعض الواجب علي بهذا البيان في غير عنف ولا وجل، أبا مشفقا لا عدوا مخاصما)<sup>2</sup>.

فمن هذه المقابلة التي وظفها ابن باديس أكسبت كلامه جرسا موسيقيا، ونغما جميلا يؤثر في النفس، وينقل الشعور، فبأسلوب المقابلة يخاطب العقل والعاطفة في آن واحد.

**الاقْتَبَاسُ:**

لقد شرف ابن باديس خطابه الإصلاحى بالاقْتَبَاس من القرآن الكريم، ولأن أسلوب القرآن أعظم أسلوب إعجاز في البلاغة هذا ما يجعل الخطاب أكثر قوة وأكثر إقناعا وتحريكا للمشاعر، فقد اتخذ ابن باديس في معالجة قضية الطرق الصوفية التي مسّت كيان الأمة، وظاهرة الإقتباس منتشرة بكثرة في مقالته، وتأتي بطريقتين، الأولى: أن يأتي الكاتب بالآية كاملة فيضعها بين قوسين، نجد ذلك في تحدّثه عن أهل الطرق الصوفية بقوله: (وَأَللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ)<sup>3</sup>.

أما الطريقة الثانية: أن يأتي الكاتب ببعض ألفاظ الآية نصا وروحا في ثنايا الكلام دون أن يشير إلى ذلك أو يضعه بين قوسين، مثل قوله عندما وضح أن الله عباد أولياء في

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد 13، ص 221.

2 - المصدر نفسه، ص 223.

3 - سورة البروج: الآية 20.

قوله: ( وأن جزاءهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)<sup>1</sup> مقتبسا إياها من الآية، ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)<sup>2</sup>.

وكذا قوله: (وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا و الآخرة)<sup>3</sup>، اقتبسها من الآية الكريمة ( لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)<sup>4</sup>. وفي قوله متحدثا عن الصالحين رضي الله عنهم (وقد بين في غير ما آية من كتابه أن أشرف خلقه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا)<sup>5</sup>، مقتبسة من الآية ( قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)<sup>6</sup>.

ونجد ذلك الاقتباس أيضا عندما تحدث عن الإخوان المتطرفين، عندما يدعوهم إخوانهم إلى الرجوع للكتاب والسنة يقول: (إذا دعاهم أخوهم إلى هذا قابلوه بالصلابة والعناد وسلقوه بالسنة حداد، ورموه بالكفر والإلحاد)<sup>7</sup>، اقتبس إياها من الآية ( أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)<sup>8</sup>.

وفي تحدثه عن الدعاة في قوله: (يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلون بالتي هي أحسن)<sup>9</sup>، مقتبسة من الآية الكريمة في قوله تعالى: (أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِحُكْمٍ وَأَلْيَ حُكْمٍ وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)<sup>10</sup>.

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، عدد 13، ص 219.

2 - سورة يونس: الآية 62.

3 - عبد الحميد بن باديس: المصدر السابق، ص 219.

4 - سورة يونس: الآية 64.

5 - عبد الحميد بن باديس: المصدر السابق، ص 221.

6 - سورة الأعراف: الآية 188.

7 - عبد الحميد ابن باديس: عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد 13، ص 222.

8 - سورة الأحزاب: الآية 19.

9 - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص 222.

10 - سورة النحل: الآية 125.

وعندما تحدث على الشيوخ والعلماء وما يوجب عليهم قال: (بل الواجب عليهم أن يستمعوا القول فيتبعوا أحسنه)<sup>1</sup>، اقتبسها من الآية ( الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ )<sup>2</sup>، وفي قوله عن دعوته إلى القرآن الكريم وأن لا نجاة من الخسران إلا بسببه قال: (وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر)<sup>3</sup>، فيها اقتباس من الآية الكريمة: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ)<sup>4</sup> وفي قوله كذلك: (وإذا لحقتي في هذا السبيل أذى من إخواني فإنني موطن عزمي إن شاء الله تعالى على أن أقول لهم دائماً ما قاله يوسف عليه السلام لإخوته: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)<sup>5</sup>، مقتبسة من الآية (قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)<sup>6</sup>.

#### الإيجاز:

لقد تميز خطاب ابن باديس في مقاله بالإيجاز الذي لعب دوراً بارزاً في ملامسة العواطف مما يثير القارئ إلى البحث في هذه المختصرات، ويخلق في نفسه دافعا للتساؤل، فالعبارات الموجزة هي الأنسب للتعبير وإثارة النفس للبحث ومثال ذلك نجد قوله: (ومن وقف على شيء من كلام أئمة العلم في مثلٍٍٍ "جامع" ابن عبد البر وشيء من كلام شيوخ الزهد في رسالة القشيري عرف حقيقة ما نقول، ووقف ثم على ما يعسر علينا جلبه في مختصر هذا المقال)<sup>7</sup>، فنجد في هذا الإيجاز هدف ابن باديس لإثارة نفس القارئ للبحث والاستفادة أكثر من كلام الأئمة لمعرفة حقيقة ما يريد ابن باديس إيصاله بالتفصيل، فقد استعمل هذا الأسلوب ببراعة في جذب القارئ وتوجيهه إلى البحث والمعرفة.

1 - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص223.

2 - سورة الزمر: الآية 18.

3 - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص223.

4 - سورة العصر: الآية 3.

5 - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص223.

6 - سورة يوسف: الآية 92.

7 - عبد الحميد ابن باديس: عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد 13، ص220.

كما نجد قوله عن أهل البدع والدعاوي (وزادوا فقالوا يعلمون الغيب والقرآن ينفي ذلك عن محمد صلى الله عليه وسلم وزادوا وزادوا... مما لا محل لتفصيله الآن)<sup>1</sup>. نجد أن ابن باديس يلجأ إلى الإيجاز عندما يحس أنه أطال في الحديث والوقت ضيق للتفصيل. وفي إيجاز آخر استعمله بقوله: (ولا أذهب بالقارئ بعيداً ولا أحمله من هذا كثيراً بل أقتصر له على نقل واحد عن شيخ كبير زاهد، وهو سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه)<sup>2</sup>، لقد تفتن ابن باديس في توجيه القارئ باستعماله لهذا الأسلوب من الإيجاز بطريقة غير مباشرة لأن ابن باديس يريد في مقاله توجيه المجتمع إلى الصواب، وكذلك نجده في إيجازه يقتصر على ذكر أسماء الأنبياء والصحابية والتابعين وذلك لتذكيرهم بأهل الحق وهدايتهم إلى الطريق الصحيح.

السمة القصصية:

إن المتمعن في مقالة ابن باديس يدرك أسلوب القص في سرد الوقائع والأحداث، وذلك لمعالجة قضية الطرق الصوفية والمواقف المختلفة، نجد أن ابن باديس يتبع الأسلوب السلفي في سرده، بادئاً مقالته بالسلام عليكم، كما أنه يستعمل جمل أهل السلف والدعاة في مثل قوله عن هؤلاء الإخوان الذين يقومون ضد إخوانهم المسلمين: (عفا الله عنهم)<sup>3</sup>، وكذا نجد في قوله: (غير حامل بين جنبي لإخواني المسلمين " علم الله " غير الحب والحنان والنصح والإخلاص)<sup>4</sup>، وفي قوله كذلك ( فإنني موطن عزمي إن شاء الله تعالى)<sup>5</sup>.

وكذا نجده استعمل بعض الألفاظ المعروفة عن أهل السلف في نقلهم للأحاديث والحكايات وما شابه ذلك، ومن هذه الألفاظ نجد (من كلام أئمة العلم في مثل جامع)<sup>6</sup>، هذه

1 - المصدر نفسه، ص 221.

2 - م ن ، ص ن .

3 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد 13، ص 222.

4 - المصدر نفسه، ص 223.

5 - م ن ، ص ن .

6 - المصدر نفسه، ص 220.

الأخيرة لفظة من الألفاظ المعروفة عند السلف، كما نجد (على نقل واحد عن شيخ عالم زاهد)<sup>1</sup>، فهذا الأسلوب يغني انتاجه بروح القص النابعة منه في معالجته للأحداث المختلفة.

### ثانيا: من حيث المضمون

نجد أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس قد عالج في هذه المقالة " إجاب لصوت الواجب" صورة من أبرز الصور التي أدخلت على الدين الإسلامى وأرادت إخلال أحكامه، وهي الطرق الصوفية.

فنجده في بداية المقال يتحدث عن نشره لهذا البيان وذلك لخدمة الحق بدون خوف ولا رهب من الاستعمار، ولم يتردد في كشف تدعيمه لهذه الطرق فقد (كان قويا وشجاعا في محاربة الاستعمار الفرنسى فلم يتردد لحظة في محاربتة، وشخص فداحة خطره على الأمة الجزائرية، ويؤجج نار الوطنية في الصدور بخطبه الملتهبة ومقالاته السياسية الهادفة)<sup>2</sup> وهذه المقالة من بين تلك المقالات الهادفة التي عالجت الطرق الصوفية وتصحيح العقيدة والرجوع بعلمائها إلى الأصل، معالجة شاملة مسّت عدة جوانب، فجاءت مقالته مزيجا من الجانب الدينى والاجتماعى والسياسى.

**فالفكرة الأولى:** من مقاله تتحدث عن السلف الصالح ودعوتهم إلى الكتاب والسنة فهو يرى بأن الحق مع المؤمنين وأن الله عابدا أولياء وصفهم بأنهم (أهل الإيمان والتقوى)<sup>3</sup>، فهو يفضل من هذه الأمة السلف الصالح، ثم من جاء بعدهم في قوله: (ولقد كان أفضلهم من هذه الأمة بإجماعها سلفها وأهل القرون الثلاثة منها ثم من جاء بعدهم ممن اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم)<sup>4</sup>، فهو يبين أن (سلوك السلف الصالح والصحابة والتابعين وأتباع التابعين تطبيق لهدى الإسلام)<sup>5</sup>، (من التمسك بالقرآن الكريم والصحيح من السنة الشريفة)<sup>6</sup>.

1 - المصدر نفسه، ص221.

2 - دليلة بركان: عبد الحميد ابن باديس قائد النهضة الإسلامية، ص9-10.

3 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد13، ص219.

4 - المصدر نفسه، ص220.

5 - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامى المعاصر، ص17.

6 - المرجع نفسه، ص13.

ثم يوضح الشيخ عبد الحميد ابن باديس في مقاله عن طبقات هذه الأمة من أئمة العلم وشيوخ الزهد، من ساروا على منهاج السلف الصالح، واجتهدوا في اللحاق بهم، وهو يقول في هذا الصدد: (فإن القرآن الذي كَوّن رجال السلف، يكثر عليه أن يكون رجالاً في الخلف، لو أحسن فهمه وتدبيره، وحملت الأنفس على منهاجه)<sup>1</sup>، لأنهم يسعون إلى غاية واحدة منشودة وهي نشر الدين الإسلامى الصحيح والتوحيد بين المسلمين بالإخاء والأمن والسلام، كما أنهم لا يدعون لأنفسهم سلطة خاصة على الخلق ولا يوجهونم توجها خاطئاً في مصير حياتهم في قوله: (ولا يضمنون لأحد من أبنائهم أو أتباعهم فوز الجنة، ولا نجاة من النار)<sup>2</sup>، فهم يتبعون الدين الإسلامى بحقيقته الواضحة، ولا يرجعون المسائل إلى أنفسهم إلاّ إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ولهذا ابن باديس في إصلاح المجتمع وتخليصه من أتباع ومشجعي الطريقة فقد قام بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح، إلى الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة)<sup>3</sup>، وذلك لما فيها من استقامة لأوضاع المجتمع وارشادهم إلى طريق الحق لذا يركز ابن باديس في مقاله على العلماء الصالحين لأنهم أهل الثقة لأمتهم ( ولأنه يدرك أن العلماء ورثة الأنبياء في اصلاح الخلق والجهر بالحق، وأن هذه الأمة نشأت بالدين، ولا بد أن يقودها العلماء العاملون، الذين يجمعون بين فضيلتي العلم والتقوى وبين الشجاعة والذكاء، ومن ثم الاستقلال عن أصحاب الجاه والنفوذ، لأن العلماء الصالحين هم الأكثر أهلية لثقة الأمة وقيادتها، لإخراجها من أزمتها، وإيجاد الحلول لمشاكلها الحقيقية، ووضعها على طريق المستقبل الذي يعيد لها مكانتها الحضارية بين الأمم وحتى تستعيد زمام المبادرة كصاحبة رسالة إنسانية عالمية أشمل)<sup>4</sup>، فابن باديس ركّز على جانب السلف الصالح وأئمة العلم لأنهم هم قادة الأمة وحماتها وإيجاد الحلول لمشاكلها وحل أزمتها.

1 - المرجع نفسه، ص19.

2 - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص220.

3 - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: امام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، ص114.

4 - فهمي توفيق محمد مقل: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1889-1940)، ص6.

أما الفكرة الثانية: التي يحملها المقال هي اختلال أهل العلم ودخول البدع عليها يوضح ذلك بقوله: (ثم لقد أدخلت على نمط الحكم الإسلامى الشورى بدعة الاستبداد الفردي التي أماتت ضمائر الأمم وذهبت بكبريات الممالك)<sup>1</sup>.

ويضيف على ذلك ما أدخل على مذهب العلماء بقوله: (كما أدخلت على مذهب أهل العلم بدعة التقليد العام الجامد)<sup>2</sup>، وهنا نجد أن ابن باديس يعيش في صراع مرير انتقل فيه (من صراع ضد السلطات الاستعمارية وأعاونها إلى صراع ضد الانحرافات المذهبية)<sup>3</sup>.

لذا نجد أن ابن باديس شغل نفسه لمحاربة الطرقية والبدع حتى يعود بالمسلمين إلى الكتاب والسنة فنجد (يربط دائما بين الدين والأخلاق والعقل ويرى أن قدرة المسلمين إنما تكون بالجمع بين العقائد الواضحة والأخلاق الفاضلة والعلم النافع ومن هنا فإنه قاوم الطرق الصوفية في الجزائر، خاصة لأنها كانت تتعامل مع المستعمر منذ حركة الأمير عبد القادر حتى بداية النهضة الجزائرية الحديثة وهنا يتهم المتصوفة بأنهم أتوا بأعمال وعقائد من تلقاء أنفسهم وظنوا أنهم يقترحون بها إلى الله كما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمير والطواف حول القبور والذبح عندها ونداء أصحابها وتقبييل أحجارها وحرق البخور عندها، وصب العطور عليها، وهذه الأفعال والأعمال كلها مخالفة لسنة رسول الله)<sup>4</sup> (فالصد عن الحديث صد عن الذكر الحكيم والانحراف عنه انحراف عن شرعة القرآن الكريم)<sup>5</sup>، حيث أن أهل البدع جمدوا الأفكار وأماتوا عقل الإنسان الجزائري، وأصبحوا يدعون إلى اتجاههم التعسفي وقد (كان ابن باديس يدرك كل الإدراك أن الاستعمار كان يشجع الخرافات والشعوذة التي ألصقت بالدين الإسلامى لأن ذلك هو الطريق لإعطاء صورة متخلفة ومشوهة عن الإسلام تمهيدا لإبعاد الناس تدريجيا عنه معتقدين أن هذه هي حقيقته عند مقارنته بما تقدمه الكنيسة الاستعمارية، ولهذا حارب ابن باديس الطرقية الفاسدة والشعوذة والدروشة بكل ما

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، مجلة المنتقد، عدد 13، ص 220.

2 - المصدر نفسه، ص 220.

3 - دليلة بركان: عبد الحميد ابن باديس قائد النهضة الإسلامية، ص 15.

4 - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامى المعاصر، ص 48.

5 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص 331.

أوتي من قوة، مثلما كان يفضح هؤلاء المشعوذين والدرابيش والطرقيين الفاسدين الذين كان يتلبسون ويستغلون الدين ويميتون ملكة العقل والتفكير في الإنسان الجزائري بهدف تحقيق مصالحهم الخاصة)<sup>1</sup>.

هذا ما وضحه الشيخ عبد الحميد ابن باديس في كلامه باعتبار أن بدعة التقليد التي جمدت أفكار الشعب هي سبب انحرافهم وابتعادهم عن الدين الحنيف بانتشار كتب الفروع والمختصرات أعرض طلاب العلم عن الأخذ بالكتاب والسنة واهتموا بالأخذ عن المؤلفات الأخرى التي حرّف فيها الطريقون، وأصبحت معانيها خفية مجهولة، لذا نجد ابن باديس أراد تصفية الدين الإسلامي من الشبهات التي ألصقت به ( وبعبارة أخرى فإنه حاول تطهير العقائد من الخرافات والأوهام التي جعلت الدين يظهر في نظر الكثير كما لو كان مضادا للعقل كما رسخت في أذهان الكثير مفاهيم دينية خاطئة، وانتهت بتقسيم الأمة، وبالتالي تقضي على مقوماتها الجوهرية)<sup>2</sup>، لأن دخول أهل البدع على الأمة يؤدي بها إلى الشتات والخراب والانقسام وإخراجها عن حقيقتها وواقعها لذا يوضح ذلك في مقاله: ( كما قد أدخل أيضا على طرق شيوخ الزهد التي ما دعا أهلها الأولون إلا إلى تهذيب الأخلاق، وتكميل الصفات وتطهير القلوب وتحلية النفوس أهل البدع والدعاوي ما أخرجها عن حقيقتها ورمى بها ضد غايتها)<sup>3</sup>.

فدخول الطريقة على شيوخ الزهد هذا ما يخل في دعوتهم ويحرفهم عن طريقهم التي كانوا عليها من تهذيب وإصلاح للنفوس وتسوية الأوضاع، يقول ابن باديس عن هذه الطريقة الفاسدة (بأنها مبنية على الغلو في الشيخ، والتحيز لإتباع الشيخ، وخدمة الشيخ، وأولاد الشيخ، إلى ما هناك من استغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال والاستغلال ومن تجميد العقول وإماتة للهمم وغير ذلك من تلك الشرور)<sup>4</sup>.

1- راجح لونيبي: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة، ص15-16.  
2- محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص45.  
3- عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، ص13، ص221.  
4- راجح لونيبي: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة، ص16.

ولأن ابن باديس يريد حماية الأمة الجزائرية من تلك الفئات المنحرفة والآفات الاجتماعية الخطيرة لذا نجده دائما (مشغولا بمصارعة الاستعمار الذي كان يؤيد الخرافات والأوهام والشعوذة والأمراض الاجتماعية بصفة عامة ويقف من وراء رجال الطرقية والزوايا حاميا ومؤيدا وناصرًا ومساندا لهم)<sup>1</sup>، وكذا نجده أيضا (يهدد مصالحي هؤلاء المشعوذين الذين كانوا يتآمرون مع الاستعمار لإبقاء الشعب في تخلفه وعدم وعيه وسباته مما يسهل عليهم استغلاله وإبقائه منقادا إليهم وكانوا يقومون بكل ذلك باسم الدين البريء منهم)<sup>2</sup>.

وقد استنكر ابن باديس هذه الصورة التي انتهى إليها شيوخ الزهد لأنهم يعتبرون أن توجههم إتباع للدين، وابن باديس يرى هذا الاعتبار شر كبير لأنهم اتخذوا طرقهم باسم الدين الحنيف فهو يوضح لنا ذلك بقوله: (وشر ما في هذا أنه يرتكب باسم الدين ويحسبه الجهال أنه قربة لرب العالمين)<sup>3</sup>.

**الفكرة الثالثة:** من المقال تناولت دعوة ابن باديس شيوخ الزهد وعلماءه، إلى الأصل بعد ضلالهم، فهو يوضح ذلك بقوله: (والفوز هو الرجوع إلى السنة والكتاب)<sup>2</sup>، فقد اعتبر الفوز في هذا الرجوع، وذلك لأنه يرى أن نجاح الأمم وتطورها بالابتعاد عن مخلفات تلك الطرق التي تحيط بالإنسان فتجعله منقادا لها وتعمي بصره عن الحقيقة الواضحة.

لذا اعتبر ابن باديس النجاة في الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويرى بأن اختلال مذهب شيوخ الزهد نتيجة عدم النقل الثابت للشرع فهو يقول في ذلك: (فإن الأقوال والأفعال والأحوال لشيوخ الزهد جملة كما يؤخذ بما ثبت عن ثبنت له العصمة أخذوا به من غير تثبت في النقل ولا عرض على الكتاب والسنة وهدى السلف)<sup>3</sup>، فهو يرى أن انحرافهم عن الدين الإسلامي نتيجة سوء نقلهم للقول الصحيح من الكتاب والسنة، وذلك لأن (الإجماع مشهور معلوم على أنه لا بد من الرجوع إلى المعصوم)<sup>4</sup>، هذا ما يذكره في مقالته

1 - محمد طهاري : المرجع السابق، ص28.

2 - رابح لوئيسي: المرجع السابق، ص16.

3 - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص49.

2 - عبد الحميد ابن باديس : (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد ، عدد13 ، ص221.

3 - م ن ، ص ن .

4 - م ن ، ص ن .

و يذكرهم كذلك أن (الشيخ الزاهد وإن فاق أبا ذر والإمام العالم وإن كان أعلم من أبي بكر وعمر غير معصومين من الخطأ)<sup>5</sup>.

كما نجد ابن باديس يرى بأن علوم أهل العلم والدين لا تأتي من تفكيرهم الخاص بل من الشريعة الإسلامية ويوضح ذلك في تساؤله (فهل كان أبو بكر ينطق بهذا عن تفكيره الخاص وفيض نفسه الشخصي؟ كلاً بل كان يستمد ذلك من الإسلام ويخاطب المسلمين يوم ذلك بما علموه وما لا يخضعون إلا له ولا ينقادون إلا به)<sup>6</sup>.

ويبين ابن باديس أن ترك الدين الإسلامي هلاك وضلال (وأن العمل الصالح المبني على التوحيد به وحده النجاة والسعادة عند الله، وأن اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء شرك وضلال)<sup>1</sup>، لذا نجد ابن باديس يدعو شيوخ الزهد للرجوع إلى الأصل فهو يوضح أن سلوك وتصرفات الصحابة والتابعين كانت مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لأنه يرى ( أن البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فعله)<sup>2</sup>، لذا يرغب الشيخ عبد الحميد بن باديس في إرجاع الجميع إلى القرآن والسنة وتجده يدعو العلماء وشيوخ الزهد إلى الأخذ من الأصول حتى لا يتولد الاختلاف بينهم ولا يكونوا سبباً في تغيير عقل المسلمين وتشيت أفكارهم فنجد في مقاله يحمل المطلع عليها بالنقل عن شيخ عالم زاهد وهو سيدي أحمد التيجاني الذي قال: (ما وجدتموه من كلامي موافق للكتاب والسنة فاقبلوه وما وجدتموه مخالفاً فاطرحوه)<sup>3</sup>، فإن ابن باديس معجب بهذا العالم الزاهد وبأمثاله الصالحين لأنه يرى بأنهم ضحوا ونجوا بهذه الكلمة ومثلها حتى لا يتورط غيرهم بسببهم، وهنا (فقد اهتدى إلى الطريقة الصحيحة والقاعدة المتينة وهي

<sup>5</sup> - م ن ، ص ن.

<sup>6</sup> - محمد طهاري: المرجع السابق ، ص 36.

<sup>1</sup> - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ، ص 17.

<sup>2</sup> - م ن ، ص ن.

<sup>3</sup> - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد ، عدد 13 ، ص 221.

أنه متى دعانا داع إلى الله فلننظر هل ما يدعونا إليه القرآن والسنة أم بشيء آخر؟ وإذا كانت دعوته بالقرآن والسنة فلنتبعه لأنه هو المتبع للنبي في دعوته وجهاده بالقرآن وتلك هي طريقة السلف)<sup>1</sup>.

**الفكرة الرابعة:** فقد تضمنت محاربة أهل البدع من المسلمين لإخوانهم فهو يصف حالهم من العجب والقبح لأنهم (إذا دعاهم أخوهم إلى هذا قابلوه بالصلابة والعناد ورموه بالكفر والإلحاد)<sup>5</sup> أي دعوتهم للرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الأئمة الصالحين وكذا بالرجوع بالطرق إلى ما أسست له وكما كانت عليه في زمانهم، فمن يقوم بذلك فإنه يرى مآذيتهم التي تصل إلى الحد المعقول، لأنهم يرون أن عليهم الدفاع عن توجههم وذلك لأن الطريقة قد (انتقلت من مواقع الهجوم إلى مواقع الدفاع في محاولة للدفاع عن وجودها ومصالحها غير مدركة في الحقيقة أين تكمن مصلحتها الحقيقية بعد أن أفسدها الاستعمار)<sup>2</sup>.

فهم يعتبرون أن الذي يتقدم بالنصح لهم بأنه ينكر ولايتهم وينفي كرامتهم، فهذه الطرق هي التي ساعدت الاستعمار على البقاء لذلك حذر ابن باديس الشعب الجزائري (من الطريقة الذين يقومون بهدم القيم الإسلامية الإيجابية في نفوسهم حتى يساعدوا الاستعمار الفرنسي في البقاء، ومن هنا قامت أغلب الزوايا باستغلال سذاجة الشعب لأغراضهم الخسيسة)<sup>3</sup>، لأن الاستعمار كان يقوم بتشجيعها في إشاعة العقائد الباطلة وتحريف الإسلام وتشويهه، وطمس معالمه وتحطيم القيم الأخلاقية الإسلامية.

لما أراد الشيخ ابن باديس تهديد مصالح المشعوذين ( لم يكن أمام هؤلاء المشعوذين للدفاع عن مصالحهم إلا اغتيال ابن باديس، فعرفوا كيف يستغلون أحد أتباعهم فزعموا له بأنه كافر وأن قتله جهاد يفتح الطريق إلى الجنة)<sup>4</sup>، فقد كان (يواجه من بعض الطريقيين

1 - محمد طهاري : المرجع السابق، ص45.

5 - عبد الحميد ابن باديس : المصدر السابق ، ص222.

2 - دليلة بركان: عبد الحميد ابن باديس قائد النهضة الإسلامية ، ص15.

3 - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ، ص49.

4 - رابح لونيبي : عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة ، ص16.

مكائد ومناورات ومقاومات)<sup>1</sup>، والكثير من التصرفات فكان في صراع دائم معهم فقد كانوا يتسببون في خلق الخلاف بين المسلمين وإخوانهم، إذا دعوهم إلى الحق واتساع شقة الخلاف بين المسلمين وذلك للبدع التي ألصقت بطرقهم.

ولا شك (أن ابن باديس أدرك ما توصل إليه علماء الكلام من فتن وتفرقة لعقلية المسلمين بسبب طرقهم في الجدل مما يزيد الخلاف شدة وهكذا ادعت كل طائفة من أهل الفرق أنها الفرقة الناجحة واحتكرت لنفسها الإيمان، فكان سببا في خروجهم عن الحنفية السمحاء إلى الغلو، وعن السنة البيضاء إلى البدع، ثم زحف النسك الأعجمي والتخيل الفلسفي فابتعد الناس غاية البعد عن روح الإسلام)<sup>2</sup>، ومن هذا الخلاف يرى ابن باديس حرمان الأمة من ثمرة ذلك الإرشاد لأنه إذا كانت هناك عداوة بين المسلمين، فإن أي طرف منهم لا يتقبل أفكار ونصائح الآخر.

**الفكرة الخامسة:** تناول فيها ابن باديس ما يوجب على العلماء والشيوخ في الدعوة لأنه أيقن بأن الحق في كل هذه الاختلافات وهذا الإختلال سببه الشيوخ والعلماء الذين عرفوا الحق وكتموه فهو يقول: (ولكن التبعة كل التبعة على الرؤساء من الشيوخ والعلماء الذين ربما عرفوا كثير منهم الحق ثم سكنوا)<sup>3</sup>، وليس كتمانهم للحق لأسباب أخرى عذر عند الله والمسلمين، فهو يعتبر ذلك لأنه يرى أن الواجب عليهم أن يقولوا الحق ليكونوا قدوة للأمة (في قول الحق وقبوله ممن جاء به، وأن يكونوا دعاة لها إلى ما دعاها القرآن إليه)<sup>4</sup> وكذا السنة النبوية الشريفة فهو يقول: (فاستمدوا منها نور إيمانكم، وجددوا بها صرح توحيدكم، وحصنوا بها قلوبكم من جهالات الغفلة وظلمات الشرك)<sup>5</sup>، لأنه يرى أن الكتاب والسنة هما اللذان يحققان صلاح الأمة وبناء حضارتها، يوضح ذلك بقوله: (فعودوا إلى الأصول التي

1 - محمد الصالح الصديق: الوقت في حياتنا، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص184.

2 - محمد طهاري: المرجع السابق، ص48.

3 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، عدد13، ص222.

4 - المصدر نفسه، ص223.

5 - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص304.

جاء بها هذا الرجل إنها جربت، فصحت تجربتها، فقد بنيت عليها مدينة ما في مدينة اليوم من خير هو من أثرها)<sup>1</sup>.

فباتباع أصول الدين ترقى الأمم، لذا نجده في مقاله يوصي العلماء والشيوخ بالحق والصبر ليؤدوا أمانة العلم، لأن ابن باديس يعطي أهمية كبيرة للعلم ويوصي كذلك بالنظر إلى معلوماته التي تحقق نهضة الأمة وذلك لأنه يرى (أن المعلومات إذا لم تتعاهد بالنظر زالت من المحافظة شيئاً فشيئاً... وهذا هو طور انحطاط الأمم، انحطاطاً تاماً، وذلك عندما يرتفع منها العلم، ويتفشى فيها الجهل وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها، فتتخذ رؤساء جهال بأمور دينها وأمور دنياها، فيفقدونها بغير علم فيضلون ويضلون... ويفسدون ولا يصلحون)<sup>2</sup>، لذا نجد رغبة ابن باديس في دعوتهم إلى أصول العلم والدين ومراجعتها حتى لا تضمحل وتفشى وينتشر الفساد في الأمة فهو يرى أن الرجوع إلى القرآن الكريم (لا نجاة من الخسران إلا بسببه)<sup>3</sup>، لذا نجد حرص (ابن باديس ومن معه على تمجيد العقل وفكه من قيود التقليد والجمود الذي كان يقضي على الحضارة الإسلامية)<sup>4</sup> لذا لجأ إلى تحديد أصول الإصلاح الديني فبين أن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، هما أصول هذا الإصلاح لأنه أراد أن ينهض بالأمة الجزائرية في مقاله وتخليصها من الطريقة التي أفسدت طريقها في النشأة والتطور كذا أراد إبعاد الشبهات عن الدين الإسلامي لأنه هو القاعدة الأساسية التي يُعتمد عليها في النهوض بالأمم.

لذا نجد عبد الحميد ابن باديس قد (حارب الطريقة والزوايا أعوان الاستعمار في ذلك الوقت لتصحيح المفاهيم الإسلامية)<sup>5</sup> وكذا (الخلاص من عملاء الاستعمار الذين هم كانوا أشد خطراً من الاستعمار ذاته لحكم تغلظهم في الأوساط الشعبية وسيطرتهم على الضعفاء

1 - المصدر نفسه، ص 306.

2 - محمد طهاري : الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص 48.

3 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، عدد 13، ص 223.

4 - محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص 17.

5 - المرجع نفسه، ص 56.

من أفراد الشعب الجزائري، ثم قام مثل ما فعل الأفغانى وعبدته بتطهير الدين الإسلامى من البدع والخرافات والأساطير التى ليست لها علاقة به<sup>1</sup>.

فابن باديس لا يختص بمعالجة مشكلة واحدة فقط ، وإنما يتطرق إلى معظم الجوانب والمشاكل لكشف الحقيقة والواقع وذلك بالتعبير عنها بلغة متميزة أملا فى تحقيق هدفه، بتحرير بلاده وإرشادها إلى الطريق الصحيح .

### ثالثا: من حيث اللغة

إن اللغة (فى الأساس هى مستودع قيم الأمة والحافظة لكيانها والرمز المعبر عن حقيقتها والوعاء الحامل لهويتها وتراثها، فهى عقل الأمة وروحها ووجدانها وأساس وحدتها ، وعماد تفكيرها، ومنطلق نهضتها)<sup>2</sup>.

لذلك ( جعلها ابن باديس رديفة للإسلام، وخصص لها مكانة فى مشروعه الإصلاحى وأعطاهما الرتبة الثانية ضمن بنود شعاره الوطنى، الثلاثى الأبعاد <الإسلام، العربية، الجزائر> الشعار الذى جعلته الحركة الإصلاحية دليلا موجها لنشاطها ومنهاجا محددًا لمضمون هذا النشاط، سواء فى مجال التعليم أو الدعوة الإسلامية، أو فى مجال بعث اليقظة السياسية والوعى الوطنى)<sup>3</sup>.

هذا الإهتمام أكسب لغة ابن باديس فى مقاله طابع التميز والتنوع مما أدى إلى ظهور مقالته بصورة فنية جمالية رائعة تتلون فيها اللغة من خطابية وتقريرية وانفعالية وكذا العمق والالتزام فى لغته، بالإضافة إلى توظيف الضمائر والألفاظ .

### اللغة الخطابية:

نجد أن هذه اللغة قد أخذت الحظ الوافر فى هذه المقالة، إذ تتحكم فيها مواقفه وآرائه، فهو رجل إصلاح، فالكاتب كى يستطيع إيصال أفكاره للجمهور لابد من مثل هذا اللون اللغوى الذى غلب كثيرا فى مقاله ويظهر فى قوله:

1- م ن ، ص ن .  
2- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: امام الجزائر عبد الحميد ابن باديس ،ص84.  
3- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: امام الجزائر عبد الحميد ابن باديس ،ص85.

(إني وإن كنت أتشرف بأن أعد من خدمة كل مشروع كمشروعكم فإنني لا أحب أن ينسب إليّ جميع ما يقوم به غيري من العالمين وقد علمتم أن كثيراً ممن يقولون ولا يحققون نسبوا إلى هذا الحقير جميع ما ينشر في صحيفتكم بإمضاءات صريحة لكتاب علماء مشهورين لعل هذا الكويكب لا يشق غبارهم وهذا يا سيدي غمط قبيح وكذب حبريت وجب عليّ أن أتبرأ منه على لسان صحيفتكم الصادقة)<sup>1</sup>، فهو يخاطب إخوانه العلماء حين نسبوا إليه جميع ما يقوم به غيره، فلغة النص جاءت بأسلوب خطابي مباشر استعمل فيه النداء (يا سيدي) وضمير المخاطبة (مشروعكم، صحيفتكم)، والنفي (لا أحب، لا يحققون، لا يشق) كما تضمن النص التمني (لعل هذا الكويكب).

فبهذه الأدوات ازدادت لهجته الخطابية وأكسبت طابع فني متميز ولأن ابن باديس رجل إصلاحى كما سبق الذكر، فإنه يستعمل هذه الأساليب في لغته للتأثير في القارئ كما نجد ذلك في خطبه إلى الجماهير، لأنه أدرك ما للخطابة من أهمية بالغة لتأثيرها على عقول وقلوب الجماهير في استمالة مشاعرهم وعواطفهم للتغيير من سلوكياتهم، فاختر هذه اللغة لنشر الوعي بشكل تأثيري راقى فقد قال (عنه أحد الصحافيين الفرنسيين بأنه "قد ملك مقاليد الكلام وبصوته الناري يستفز الجماهير... وأن نبرات صوته لتنتزع منك الإعجاب انتزاعاً، ثم تجتث من صدرك ما أنت مقتنع به من رأي وتجعل منك عبده وملك يمينه")<sup>2</sup>، ويعود تأثيره بهذه اللغة الخطابية إلى (إيمانه الصادق بما يقوله، ولم يكن مثل الكثير يعرف الكلام ولا يعرف العمل، بل قرن كلامه بعمله فهو الذي يقرأ يومياً في القرآن الكريم)<sup>3</sup> " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ"<sup>4</sup>

### اللغة التقريرية:

وهي اللغة التي يعتمد عليها في سرد الحقائق لاسيما التاريخية منها لأنه يريد من خلالها معالجة الأوضاع لتذكير القارئ ودمجه معه ومثال ذلك: (ولقد كان أفضلهم من هذه الأمة

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، عدد 13، ص219.

2 - رابح لونيبي: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة، ص24.

3 - المرجع نفسه، ص24-25.

4 - سورة الصف: الآية 2-3.

<بإجماعها> سلفها وأهل القرون الثلاثة منها ثم من جاء بعدهم ممن اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم، وما كانت سبيلهم التي تواترت عنهم الأُسنة، ذلك الرسول الأعظم، علم بلا تكلف وعبادة بلا تتطع، وزهد بلا ترهين، وإرشاد للخلق بنصوص الكتاب وأحاديث محمد صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

فبسرده لهذه الحقيقة جاءت لغة النص تقريرية غير أنها توفرت كذلك على جمالية في العبارات الموجزة <علم بلا تكلف، وعبادة بلا تتطع، وزهد بلا ترهين> هذه العبارات المتتالية القصيرة أكسبت النص نغمة موسيقية بألفاظ خفيفة سهلة المخارج، مما نجد نثره أقرب إلى الشعر في عدة محطات من كلامه.

كما أنه استطاع أن يمزج بين لغة التراث القوية الجزلة بلغة العصر ذات الألفاظ الفنية الحضارية، فنجد في هذا المزج إبداع ابن باديس في لغته، فاللغة (هي الجسر الذي يصل أبناء الأمة بأسلافهم، وبما تركوه من مجد وفكر، وهو الذي يصلهم بأبنائهم وأحفادهم في المستقبل، ويعزز الروابط بين أفراد الأمة الواحدة)<sup>2</sup>، كما أنه يراها بأنها هي (التاريخ الذي يربط ماضي الجزائر بحاضرها ومستقبلها، وأجداد أبنائها بأحفادهم، التاريخ الذي نسج حياتها الثقافية ومزج بين عناصرها، وصنع من ذلك كله كيانا واحدا موحد)<sup>3</sup>.

ويورد كذلك نظرتة إليها فيقول: (علينا أن نعرف تاريخنا ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود... ولا رابطة تربط ماضيها بحاضرها الأغر والمستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين)<sup>4</sup>.

### اللغة الواقعية:

نجد أن ابن باديس قد عبر بكل روح واقعية عن مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها عصره بتصور يتماشى مع الحياة بكل مظاهرها، فكان تصويره ليس تسجيلا للواقع ووصفه بشكل بحت، بل كان مبدأ فكري يسعى به إلى إيجاد واقع أفضل من

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، عدد 13، ص220.  
2 - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: امام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، ص85.  
3 - المرجع نفسه، ص86.  
4 - المرجع نفسه، ص88.

الواقع الذي يعيشه المجتمع الجزائري، فاللغة ( باعتبارها الترجمان الذي يعبر عما في القلب من عقائد وعما في العقل من أفكار وعما في النفس من آلام وآمال)<sup>1</sup> ، فهذا ما طبقه ابن باديس في مقاله، بالتعبير عن أفكاره وآلامه وآماله في تغيير الواقع الجزائري في ذلك الوقت فقد استعمل هذه اللغة للتأثير في المجتمع الذي يرى صورته وواقعه المعاش من جهة الطرق الصوفية ، وكذا يرى ما عليه للخروج من هذا المشكل الذي اختل بفكره، فقد اتخذ هذه اللغة ليعالج بها موضوعه فنجد في مثال ذلك حين اختل شيوخ الزهد بالأخذ من كتب الفروع فهو يورد ذلك في قوله: (وهذا كله ناشئ عن الإخلال بأصل النجاة والفوز وهو الرجوع إلى السنة والكتاب، فإن الأقوال والأفعال والأحوال لشيوخ الزهد جملة كما يؤخذ بما ثبت عن ثبتت له العصمة أخذوا به من غير تثبت في النقل ولا عرض على الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح، ولا وزن بميزان الشرع)<sup>2</sup>، فنجد هنا يورد حال المجتمع الجزائري واختلال الوضع فيه بلغة واقعية مع محاولته إصلاح هذا الواقع.

وكما ان ابن باديس استعمل هذه اللغة بصورة واقعية كذلك نجد في هذه اللغة استعمال فنيات في كلامه في المثال الذي ذكرناه من المقال فقد ذكر فيه الكلمة وشرحها في نفس الموضوع ( النجاة والفوز) بالإضافة الى استعماله لكلمات متتالية لها نفس الوزن ( الأقوال والأفعال والأحوال) التي أعطت نغمة موسيقية مترددة، وكذا النفي ( لا عرض لا وزن) فهذه ابن باديس هو جذب القارئ، وتوجيهه الى الطريق الصائب، لذا نجده يستعمل هذه الادوات حتى في لغته الواقعية.

### اللغة الانفعالية:

لقد تميز ابن باديس بهذه اللغة في قضية محاربة الطرق الصوفية فهذه الخاصية الانفعالية تحددتها طبيعة المواقف التي يبديها في مقاله، فقد كان ينفعل الى ما يقوم به اهل تلك الطرق ويتعصب لذلك، فهو يصف معاملة هؤلاء لإخوانهم المسلمين عند دعوتهم للرجوع

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص87.

<sup>2</sup> - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد ، عدد 13، ص 221.

الى الصواب يتضح ذلك من مقاله في قوله: ( اذا دعاهم اخوهم الى هذا قابلوه بالصلابة والعناد، وصلقوه بالسنة حداد، ورموه بالكفر والالحاد، وخرجوا في إذايته عن حد المشروع والمعقول، وقولوه مالا يقول، واقل ما عندهم انه انكر الولاية ونفي الكرامة وحارب أهل النسبة الى غير ذلك من التلبيس والتدليس والتخليط والتوريط)<sup>1</sup> " وَأَلَّه مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ"<sup>2</sup>.

لقد استعمل ابن باديس ألفاظا صلبة ذات معاني قوية في مناقشة خصمه، ويعود ذلك لحدة مشاعره وانفعاله لأجل الرجوع بالمجتمع الى الحق فمن الصفات الحادة نجد الصلابة، العناد، حداد، الكفر، الالحاد، ... وكذا حدة الافعال بمعاني قاسية (رموه، خرجوا في اذايته، انكر، نفي، حارب) كما استعمل العبارات الموجزة في المثال السابق ( قولوه مالا يقول) التي اغنت خطابه بإيقاع موسيقي متوهج، كما ان هذه العبارات تكون اكثر قربا في ملامسة عواطف المجتمع وذلك للتأثير فيه، كما ان ابن باديس لم يرد في مواجهة خصمه الفاظ السب والشتم على أعدائه، لان ذلك ليس من صفاته حتى وان كان منفعلا، غير انه اذا بلغ قوة الانفعال يخفف من حدة ذلك بذكر اية من كتاب الله عزوجل هذا ما وجدناه في المثال الذي ذكرناه، كما استعمل الحكمة في مثل تلك المواقف الانفعالية يقول: ( ولا ننس ان من الحكمة الاغلاض احيانا من المعاندين والمتعنتين)<sup>3</sup>.

فهذه اللغة الانفعالية أراد بها ابن باديس ( تحطيم لعالم قديم . لا يتفق مع روح الاسلام ولبه . عالم كانت تهيمن عليه الزوايا والطرق الصوفية . والعقائد الفاسدة . ويحاول منع رياح التجديد > التغيير < من الدخول اليه بواسطة تجسيد شعارها آنذاك "اعتقد ولا تنتقد"<sup>4</sup>.

فقد دافع ابن باديس عن أمته بكل تفاعل مع أحداثها وقضاياها فكان يحس بالمسؤولية اتجاهها لذا ينفعل من اجلها، وعلى هذا الأساس جاء خطابه يتسم بطابع انفعالي قوي.

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، عدد 13، ص222.

2 - سورة البروج: الآية20.

3 - عبد الحميد بن باديس:المصدر السابق، ص222.

4 - فهمي توفيق محمد مقل: عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث ( 1889-1940 ) ، ص21.

## العمق في اللغة:

تظهر درجات العمق في لغة ابن باديس من خلال معالجته لموضوع محاربة الطرق الصوفية، ولعل عمق لغته يعود الى العمق في الموضوع لأن هدف ابن باديس تصحيح العقيدة الاسلامية واصلاح المجتمع من التقاليد والخرافات التي أدت به إلى الانحراف والتخلف، لذا نجده في مقالته يهتم بالإنسان لأنه مصدر التغيير، وليس الانسان بشكله الظاهر بل يتعمق فيه بكل مكوناته، بعقله، وفكره، وروحه، وغرائزه ونذكر مثالا من مقاله يوضح عمقه في الإنسان بقوله: (ثم لقد أدخلت على نمط الحكم الاسلامي الشوري بدعة الاستبداد الفردي التي امانت ضمائر الامم وذهبت بكبريات الممالك، كما ادخلت على مذهب اهل العلم بدعة التقليد العام الجامد التي امانت الأفكار وحالت بين طلاب العلم)<sup>1</sup> هما نلمس عمق اللغة في ذكره لضمائر الامم وكذا الأفكار فهذه الألفاظ تدل على العمق.

فنظرة (ابن باديس إلى الإنسان نظرة واقعية لا تجزئ حقيقة الانسان، ولا تختصرها في بعد واحد من الابعاد المكونة لهذه الحقيقة، بل تشمل جميع ما يكون به الانسان انسانا مثل الفكر والروح والدوافع <الغرائز> والاعتقادات التي تحصل عن طريق الانسان والتي تترجم ما عنده من افكار وعقائد ومشاعر والتي بها يشكل وجوده الإنساني، وتتحقق إنسانيته، لان الانسان في نظر ابن باديس كل متكامل فكر وغريزة وعقيدة واعماله المودعة كلها في جزئه المحسوس الفاني وهو < الجسد > وفي جزئه المعقول الباقي وهو < الروح > وبهذه الأصول الأربعة ينهض الإنسان أو يسقط)<sup>2</sup>.

ولأن عمق لغة ابن باديس راجع إلى عمقه في موضوعه والتركيز على الإنسان كما ذكرنا سالفا ذلك لأن (الإنسان في فلسفته هو محور كل تغيير وأساس كل نهضة فالجهود الإصلاحية التي تبذل من اجل النهوض بالأمة وتطوير ظروف الحياة المادية والمعنوية هدفها الانسان وأداتها الانسان)<sup>3</sup>

1 - عبد الحميد ابن باديس: (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد، عدد 13، ص220.  
2 - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: : امام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، ص204.  
3 عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: : امام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، ص204.

## الالتزام في اللغة:

يظهر الالتزام في لغة ابن باديس كاتجاه معين من خلال مبادئه في الكتابة والتفكير معا) وإنما حين نتتبع كتابات ابن باديس نجده مرتبطا بالإسلام اشد ارتباطا وملتزما به في كل جوانب حياته، في افعاله واقواله وعلاقاته مع الناس، حتى مع الذين يضمرون له العداة بإيعاز من الاستعمار، فلا تخلو كلمة من كلماته او درس من دروسه من التعليق على الاسلام وعلى احوال المسلمين ومن التذكير بالحقيقة القرآنية<sup>1</sup>، ومثال عن الالتزام في لغته نذكر من مقاله كلاما يوجهه الى العلماء والشيخوخ بما يوجب عليهم نحو امتهم في قوله: ( أن يكونوا دعاة لها إلى ما دعاها القرآن إليه، ولا إيمان إلا به، ولا نجاة من الخسران إلا بسببه، وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وبذلك يؤدون أمانة العلم ويقومون بواجب النصيحة في الدين)<sup>2</sup>.

ف نجد لغته لا تخلو من التوجه الاسلامي لذا نجد خطاباته الاصلاحية مقنعة وجاذبة للقارئ لما يستعمله من هذه اللغة، ( وابن باديس الذي حفظ القرآن وتأثر بحقائقه وتشرب بالثقافة العربية الاسلامية منذ صغره امتلأت نفسه بهذه اللغة، وتقديرا لقيمتها الثقافية، فدرسها ودرس تاريخها، وآدابها، وعرف الوظائف الحية التي تضطلع بها، والقيم التي تزخر بها، وأدرك بعمق ارتباطها بالإسلام وبوجدان الانسان المسلم، لأنها الاداة التي بها يناجي ربه، ويفهم القرآن، ويطلع على حقائق الاسلام والتراث، وبها يتواصل مع أبناء جنسه ويحس بانتمائه القوي الى امته، وبان هذه اللغة جزء من كيانه وركن من أركان شخصيته)<sup>3</sup>، وهكذا كان ابن باديس ملتزما في لغته بالالتزام بدينه.

## توظيف الضمائر :

لقد وظف ابن باديس في خطابه الإصلاحى الضمائر التي كانت لها دلالات من خلال مقاله ، حيث قدم خطابه إلى المتلقي وبين له حال أهل العلم وسلفها الصالح وحال

1 - المرجع نفسه، ص77.

2 - عبد الحميد ابن باديس: ( إجابة لصوت الواجب)، المنتقد ، عدد 13 ، ص 223.

3 - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص85.

أهل البدع والطرق الصوفية ومن ذلك توظيف ضمير "هم" للدلالة الإيجابية عندما يتحدث عن السلف الصالح في قوله : ( قد علم كل مؤمن أن الله من عباد أولياء ، وعرف كل تال للقرآن بفهم من نص القرآن أنهم أهل الإيمان والتقوى وأن جزاءهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وان أهل الولاية متفاوتون فيها بتفاوتهم في إيمانهم وتقواهم اللذان هما السبب إليها )<sup>1</sup> .

فابن باديس يتحدث عن السلف الصالح بضمير الغائب "هم" وذلك لجذب القارئ ودفعه للبحث عن هذه الجماعة التي ميزها الله عن عباده ، كما يتحدث كذلك بهذا الضمير على الذين جاءوا من بعدهم من أئمة العلم وشيوخ الزهد وولاية الحكم من ساروا على مناهجهم يقول : ( مضوا في سبيلهم رحمة الله عليهم لا يدعون لأنفسهم سلطة خاصة على الخلق ولا تصرفا في الكون ولا علما بالغيب ولا يضمنون لأحد من أبنائهم أو أتباعهم فوز الجنة ولا نجاة من النار ، ولا يسمعون كلامهم في الاستدلال به بالكتاب والسنة ولا يدعون لأنفسهم في قول ولا عمل شيئا من العصمة، بل يصرحون بنفي هذه الدعاوي كلها ويتبرؤون من أهلها)<sup>2</sup> ، فقد استعمل ابن باديس الضمير "هم" المتصل من أجل الإقتداء بأفعال السلف وأئمة العلم الصالحين الذين اتبعوهم ويوظف ضمير الغائب "هم" توظيفا معاكسا للأول ، يستعمله للدلالة السلبية على أهل الطرق الصوفية، فقد استعمله للدلالة على تصرفاتهم وإيذائهم لسير الصالحين ومن ذلك يقول : ( بدلا من أن يتنافسوا في تحقيق أتباعهم يتنافسون في تكثير أتباعهم ، وبدلا من أن يتعرفوا من أهل العلم آداب السلوك وسير الصالحين يصدقون عنهم بل منهم من ينفر أتباعه منهم ويتغالون في أولئك الأبرار بما يتبرأ منه الصالحون رضي الله عنهم فنسبوا إليهم التصرف في الكون وقد بين في

<sup>1</sup> - عبد الحميد ابن باديس : (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد ، عدد 13 ، ص 219 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 220 .

غير ما آية من كتابه أن أشرف خلقه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا وزادوا فقالوا يعلمون الغيب والقرآن ينفي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup> .

كما استعمل هذا الضمير ظاهرا حين اتهموا الدعاة والمرشدين بالكفر في قوله : (يرمون إخوانهم أهل الدعوة الإسلامية والإرشاد بهذا وهم يعلمون أنهم ما أنكروا عليهم شيئا مما انتسبوا إليه من الحق)<sup>2</sup>.

وكذا نجد أيضا توظيف ضمير "نحن" الذي استعمله مستترا لضم المتلقي إليه وتجنبيه من الوقوع في انحرافات تلك الطرق نجده يقول ( ولا ننس أن من الحكمة الإغلاض أحيانا عن المعاندين والمتعنتين...)<sup>3</sup>.

ثم يعود ابن باديس بعد ذلك يتوجه بخطابه هذا إلى الرؤساء والشيخ والعلماء الذين عرفوا الحق ثم سكتوا عنه ، وقد جاء كذلك توظيفه للضمير "هم" للدلالة على واجبهم وتحسيسهم بالمسؤولية نحو الأمة في قوله : (أن يكونوا دعاة لها إلى ما دعاها القرآن إليه ، ولا إيمان إلا به ، ولا نجات من الخسران إلا بسببه ، وهو : التواصي بالحق والتواصي بالصبر وبذلك يؤدون أمانة العلم و يقومون بواجب النصيحة في الدين)<sup>4</sup>.

ونجد أن ابن باديس في توظيفه للضمائر في خطابه الإصلاحى قد كان له هدفا من ورائها وهو تصحيح الأعمال والصفات التي نتجت عن الطرق الصوفية وكذا دعوة القارئ إلى الاقتداء بالسلف الصالح الذين ساروا على منهاج الدين الإسلامى الصحيح .

1 - - عبد الحميد ابن باديس : (إجابة لصوت الواجب)، المنتقد ، عدد 13 ، ص 221 .

2 - المصدر نفسه ، ص 222.

3- م ن ، ص ن .

4 - المصدر نفسه ، ص 223 .

### توظيف الألفاظ :

أما فيما يتعلق بالألفاظ فإن ابن باديس استعمل تكرار اللفظ في خطابه الإصلاحى نذكر عن ذلك مثالا عندما تحدث عن السلف الصالح في قوله : ( ثم من جاء من بعدهم وسلك سبيلهم وما كانت سبيلهم التي توارت عنهم الأسنة ذلك الرسول الأعظم )<sup>1</sup> فقد جاء هنا التكرار لتأكيد المعنى وإقناع القارئ بالتركيز على اللفظ المكرر ، كما نجد (وزادواوزادوا) (لكن التبعة كل التبعة ) .

كما يستعمل الفعل ومصدره في قوله: ( والسعي إلى الغاية الشريفة التي يسعى إليها جميعهم)<sup>2</sup> ، كما استعمل هذا التكرار في ذكر الفعل والصفة (يتورط المتورطون) (أحدثه المحدثون) ، (يتبرأ الأبرار) وظّف ابن باديس تكرار اللفظ وذلك لتأكيد المعنى وهذا ما يوضح أهمية خطابه الإصلاحى ، بالإضافة إلى أن هذا التكرار يحمل دلالات فنية تظهر في تلك النغمة التي تضيف على الخطاب قوة التأثير في القارئ.

فنظرة ابن باديس إلى المجتمع نظرة موضوعية قائمة على أسس علمية، فهو يعيش داخل المجتمع الجزائري ويتعمق فيه ليصلح الكثير من العادات والمعتقدات الفاسدة والطرقية ، كما أنه يستعمل هذا التنوع اللغوي قصد التأثير في المتلقي وبأسلوب متميز هدفه في ذلك إيقاظ الأمة الجزائرية ، لذا دافع بقلمه لاعتباره أن الكلمة أثن من السلاح.

<sup>1</sup> - عبد الحميد ابن باديس : إجابة لصوت لواجب ، المنتقد ، العدد 13 ، ص220.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص220.

## أ- مفهوم الخطاب الأدبي والإصلاحي والعلاقة بينهما :

شهد العالم العربي حركة واسعة في محاولة تحديد دلالة الخطاب الأدبي، وقبل تحديد مفهوم هذا الأخير، يمكننا تحديد مفهوم الخطاب الذي أصبح كذلك مصطلحا شائعا ومتشعبا وصارت له اتجاهات عديدة وذلك عن طريق ضبط مفهوم مبسط له، ليتسنى لنا من خلاله فهم الخطابات الأخرى.

### 1- مفهوم الخطاب :

**1-1 المفهوم اللغوي للخطاب :** جاء في لسان العرب: (الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده)<sup>1</sup>، كما وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾<sup>2</sup>، ويورد الزمخشري تفسيراً لفصل الخطاب بقوله: (إنه الكلام المبين الدال على المقصود بلا التباس)<sup>3</sup>، ويذهب التهاوني إلى أن الخطاب في اللغة: (توجيه الكلام نحو الغير للإفهام)<sup>4</sup>.

**2-1 المفهوم الإصلاحي للخطاب :** عرّف "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" الخطاب بأنه: (مجموع التعابير الخاصة التي تحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الإيديولوجي)<sup>5</sup> وهو كذلك: (الميدان العام لمجموع المنطوقات، أو مجموعة متميزة من المنطوقات، أو هو ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها)<sup>6</sup>، كما أنه عبارة عن (مجموعة من المنطوقات أو الملفوظات التي تكون بدورها مجموعة من التشكيلات الخطابية المحكومة بقواعد التكوين والتحويل)<sup>7</sup>.

1- ابن منظور : لسان العرب ، مجلد2، دار الجبل ودار لسان العرب ، بيروت ، عام 1988 م ، ص 856 .

2- سورة ص : الآية 20 .

3- الزمخشري : الكشاف ، ج4 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1987م ، ص 80 .

4- التهاوني : كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق لطفي عبد البديع ، ج2، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1972م ، ص 175 .

5- سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، الدار البيضاء ، 1985 م ، ص 83.

6- ميشيل فوكو : نظام الخطاب وإرادة المعرفة ، ترجمة أحمد سلطاني وعبد السلام بن عبد العالي ، دار النشر المغربية الدار البيضاء 1985م ، ص 51-52 .

7- الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2000م ، ص 94.

## 2- مفهوم الخطاب الأدبي :

تعني عبارة الخطاب الأدبي (فصلا لنوع معين من الخطاب عن أنواع أخرى أو تعني على الأقل، بأن وجود الخطاب الأدبي يفترض وجود خطاب غير أدبي، ولكل من الخطابين خصائص تميزه، والتعرف في الخطاب الأدبي على الخصائص يعني استخلاص أدبيته وتبنيها أي استخلاص جملة الشروط والخصائص والمقاييس التي تجعل من خطاب معين خطاب أدبي، وهو ماجعل بعض الدارسين المحدثين يرون بأن هدف علم الأدب ليس الأدب بل "أدبية الأدب"<sup>1</sup>، ويرى رشيد ابن مالك في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص أن: (الأدبية تعني خصوصية الخطاب الأدبي، والتي يمكن أن تعتبر إما كهدف يسعى إلى تحقيقه البحث من خلال الخطاب الواصف، وإما كمسلمة تعين على تحديد الموضوع المعرفي سلفا)<sup>2</sup>.

## 3- مفهوم الخطاب الإصلاحى :

يمكن إعطاء مفهوم للخطاب الإصلاحى بأنه هو الذي: (يتطلب إعادة قراءة النص الدينى والتجربة التاريخية للمسلمين)<sup>3</sup>، كما أورد الشيخ أبو يعلى الزواوي مفهوم الإصلاح بقوله: (الإصلاح كلمة واضحة المعنى، مفهومة لغة وشرعا وعرفا وهي ضد الإفساد وأجمع العقلاء من جميع الملل والنحل على أن الإصلاح محمود وضده مذموم، غير أن الإصلاح الشرعى المؤيد من التنزيل خير من العقلي والعرفي الوضعي)<sup>4</sup>.

كما نجد أن الشيخ بيوض نحا منحى الإصلاح فى نظريته إلى مفهوم الخطاب الإصلاحى، حين خاطب الحركة الإصلاحية فقال: (إخواني الفضلاء... ولم يكن عملي خاصا بميدان العلم، ولكن بتناول جميع نواحي الأمة، وظيفتي غسل العار عن الأمة

1- إبراهيم صحراوي : تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، ط1، دار الأفاق، الجزائر، 1999، ص9.

2- رشيد بن مالك: قاموس المصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، 2000، ص97-98.

3- رضوان السيد: (التجديد الفقهي والديني)، الاجتهاد، عدد 57-58، 2003، ص9.

4- محمد الحسن فضلاء: لسان حال جمعية العلماء المسلمين ، مجموعة جريدة البصائر، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984، ص28.

وتطهيرها من أدناسها)<sup>1</sup>، ومن هنا يمكن اعتبار الخطاب الإصلاحى كل خطاب يتمحور مضمونه حول الإصلاح والدين الإسلامى بيانا وعرضا له أو استلهاما أو تشويشا لحقائقه.

**4- العلاقة بين الخطاب الأدبى والخطاب الإصلاحى:** إذا بحثنا عن علاقة الخطاب الأدبى بالخطاب الإصلاحى فإننا نجد أن هناك علاقة تضمن باعتبار أن الخطاب الأدبى ليس له مضمون معين كالخطاب الإصلاحى والسياسى وغيرهما، وهنا نجد إبراهيم صحراوى فى تحليله للخطاب الأدبى يقول: (والخطاب الأدبى لا يختص بمضمون محدد كالخطاب السياسى أو الرياضى مثلا، فكل الموضوعات والمضامين التى تشكل العوامل المعنوية للغة ما بإمكانها أن تشكل مادة لمضمونه)<sup>2</sup>، وبما أن الخطاب الأدبى يدرس لغة أى نوع من الخطابات لذا فهو يتضمن الخطاب الإصلاحى، (والخطاب الأدبى هو الممارسة الأدبية شفوية أو كتابية للغة ممارسة تنقيد بقواعد وشروط فنية مختلفة باختلاف الأنواع والفنون الأدبية وتنقيد أيضا بقيم جمالية تتعارض عليها كل أمة تبعا لحضارتها وثقافتها ويكون تحليل الخطاب تبعا لذلك: هو استخلاص هذه الشروط الفنية أى مكونات "الأدبية" فى خطاب ما عبر مستويات متعددة تدرج كلها ضمن وجهى الأثر الأدبى هما الشكل والمضمون)<sup>3</sup>.

كما أن هناك علاقة تقارب بين الخطاب الأدبى والخطاب الإصلاحى تظهر فى التقاطع بين الخطابين على الشكل التالى:

- خطاب شفهي أو مكتوب (حسب القناة المستعملة).
- خطاب صريح أو ضمني وفقا لطبيعة العلاقة بين الخطاب والواقع الدال عليه.
- خطاب بضمير المتكلم أو الغائب حسب المسافة بين المتلفظ والمتلقي إلى غير ذلك من تقاطعات بين الخطابين، غير أن الخطاب الأدبى يتميز عن باقى الخطابات فى نقاط كثيرة.

1- محمد على دبور: أعلام الإصلاح فى الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980 م، ص 106.

2- إبراهيم صحراوى: تحليل الخطاب الأدبى، ص 15.

3- المرجع نفسه، ص 219.

## ب- الشيخ عبد الحميد ابن باديس وآثاره :

هو عبد الحميد ابن باديس محمد بن المصطفى المكي بن باديس<sup>1</sup>، ولد ليلة 4 ديسمبر 1889م<sup>2</sup>، في مدينة قسنطينة وكان الابن البكر لوالديه<sup>3</sup>، وأسرته مشهورة بالعلم والثراء والجاه، وكان يفخر بجده الأعلى المعز بن باديس الذي حارب فرق الشيعة في إفريقيا من إسماعيليين وفاطميين<sup>4</sup>.

كانت هذه الأسرة تنتمي للطريقة القادرية تبعا للعرف الجاري في ذلك الزمان القاضي بارتباط الأسر الكبيرة بالطرق الصوفية<sup>5</sup>.

تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة قرآنية على يد أستاذه محمد المداسي<sup>6</sup>، فأولاه هذا الشيخ عناية فائقة ورعاه رعاية تامة في حفظ الكتاب وسنه لم تتجاوز الثالثة عشر، ولما لاحظ عليه حسن الخلق والاستقامة والفتنة قدّمه ليؤم الناس في صلاة التراويح بالجامع الكبير لمدة ثلاثة سنوات<sup>7</sup>، ودرس العلوم العربية والإسلامية على يد الشيخ حمدان الونيسي<sup>8</sup>.

لازم الغلام الموهوب شيخه الحكيم مدة ستة سنوات في مسجد سيدي محمد النجار<sup>9</sup> كان فيها الشيخ حكرا على الولد يعطيه من العلم الشيء الكثير ومن الحكمة والعمل الشيء الأكثر<sup>10</sup>، ولو أراد أحد معرفة تفاصيل عن المنهج الذي سار فيه الشيخ حمدان الونيسي في تعليم ابن باديس لما استطاع لانعدام المصادر التي تذكر ذلك إلا أن الشيخ البشير الإبراهيمي يذكر

- 
- 1- عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر ، لبنان ، 1980م ، ص28 .
  - 2- كمال أبو سنة : الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس حياته ومسيرته وجهاده الإصلاحي ، ط2 ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005م ، ص 120 .
  - 3- رابح تركي : الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، 1422 هـ ، 2001 م ، ص133 .
  - 4- أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م ، ص 120 .
  - 5- عمار الطالبي : ابن باديس حياته وآثاره ، ط 1 ، ج 1 ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، 1968م ، ص73-74 .
  - 6- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت (لبنان) ، 1926م ، ص 390 .
  - 7- عمار الطالبي : المصدر السابق ، ص 71 .
  - 8- أبو القاسم سعد الله : المصدر السابق ، ص 390 .
  - 9- عمار الطالبي : ابن باديس حياته وآثاره ، ج 1 ، ص 74 .
  - 10- المصدر نفسه، ص138 .

أن الطريقة التي أتبعته في تعليمه هي نفسها التي أتبعته في تعليم ابن باديس<sup>1</sup>، ويقال أن ابن باديس قطع عهداً لأستاذه أن لا يقبل أي منصب من الإدارة الفرنسية<sup>2</sup>، بحيث حاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتولية الأمور الدينية فامتنع عن ذلك<sup>3</sup>.

- في عام (1908م) سافر ابن باديس إلى تونس، والتحق بجامعة الزيتونة، وبعد أربع سنوات قضاها في الدرس والتحصيل نال شهادة العالمية عام (1912م)<sup>4</sup>.

و(في عام 1913م عاد ابن باديس إلى قسنطينة، وعمره آنذاك أربعة وعشرون عاماً فشرع لتوه يلقي دروساً في الجامع الكبير)<sup>5</sup>، فلما تفتتت سلطات الاستعمار إلى خطورة ابن باديس ودروسه أوقفته فغادر الجزائر من جديد متجهاً إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، والاستزادة من العلم والإطلاع على تجارب الإصلاح في الأقطار المشرقية<sup>6</sup>، وقد تصدى لتدريس العلوم العربية والإسلامية المختلفة بالجامع الأخضر في قسنطينة، عاصمة الشرق الجزائري، منذ عودته من الحجاز)<sup>7</sup>.

آثاره: أثر عنه قول: "شغلنا تأليف الرجال عن الكتب"<sup>8</sup>، (معروف أن الإمام ابن باديس لم يهتم طيلة حياته المعطاة بوضع مؤلف في موضوع محدد أو تأليف كتاب يشرح فيه

1- البشير الإبراهيمي : مجلة مجمع اللغة العربية ، العدد 21 ، القاهرة ، 1964م ، ص 136 .

2- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م) ، ج2 ، ص 390 .

3- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط14، ج4، لبنان، دار العلم للملايين، 1999، ص289.

4- سعيد بورنان : شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830 - 1962م)، ط2، ج2، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2004، ص100 .

5- المرجع نفسه، ص100

6- المرجع نفسه، ص101 .

7- عبد الحميد بن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ط 1 ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، الجزائر ، 1403هـ ، 1983، ص9.

8- عبد الحميد بن باديس : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين، دار الكتاب الجزائري، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، 1964، ص716 .

آراءه وأهدافه)<sup>1</sup>، غير ما اجتهد فيه الباحثون في جمع وترتيب التراث الباديسي، وهذا بعض ما خطّه قلم الإمام أخذ مما بقي من المجلات<sup>2</sup>.

- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: وهو عبارة عما بقي من تفسير القرآن الكامل وطبع هذا الجزء مستقلا سنة 1964م، مطبعة الكيلاني الصغير القاهرة).

- مجالس التذكير من كلام البشير النذير: وهو عبارة عما بقي من شرحه للحديث والذي طبع سنة 1983م بوزارة الشؤون الدينية بالجزائر في مطبعة دار البعث.

- رجال السلف ونسأوه: قصص عن الصحابة والتابعين، طبع سنة 1965م.

- عقيدة التوحيد من القرآن والسنة، طبع سنة 1964م.

- رسالة في الأصول طبعت.

- مجموعة كبيرة من المقالات السياسية والاجتماعية جمعت مع بعض ما سبق وطبعت في كتاب بعنوان "ابن باديس حياته وآثاره" للدكتور عمار طالبي في أربع مجلدات، وقد صدرت الطبعة الأولى سنة 1968 م عن دار اليقظة العربية.

- حقق كتاب العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي سنة 1928م-1347هـ وطبعه بمطبعته المسماة "بالمطبعة الجزائرية الإسلامية" بقسنطينة .

هذا إضافة إلى كتب أخرى منها: تراجم، أعلام، قصص، فتاوى، أصول الفقه، العقائد الإسلامية<sup>3</sup> جواب سؤال عن سوء مقال<sup>4</sup>.

1- سعيد بورنان : شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830 - 1962م)، ص 122.

2- عبد الحميد ابن باديس : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين ، ص 716 .

3- محمد الحسن فضلاء : أعلام الإصلاح في الجزائر ، ص 9-10.

4- عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ص 28.

وقد وضع عبد الحميد ابن باديس تحت الإقامة الجبرية بمدينة قسنطينة وأصيب بمرض (سرطان الأمعاء) إلى أن توفي في 16 أبريل 1940م، ليلة الثلاثاء 8 ربيع الأول 1354هـ<sup>1</sup>.

### ج - أسباب ظهور الخطاب الإصلاحى في الجزائر :

**1- أسباب خارجية :** تعتبر فترة الحرب العالمية الأولى من أهم الفترات التي أيقظت الشعب الجزائري من سباته وذلك لظهور حركة فكرية أثناءها (دبت تلك اليقظة في الشعب الجزائري نتيجة للحرب العالمية الأولى، وتطلع الجزائريون إلى الإصلاح الشامل الذي ينهض بهم دينيا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا من الوضعية السيئة التي كانوا عليها قبل بداية الحرب)<sup>2</sup>، وكذا (استطاع الشيخ محمد عبده بحركته الإصلاحية التي زرع بذرتها في العالم الإسلامي أن يعيد لأذهان الجزائريين فضل الإسلام المعاصر، ونتائج جهود الجماعة الإسلامية على مر السنين والعصور، ولاسيما أن دعوته لم تجد في العالم الإسلامي صدى ما وجدته في الجزائر بسبب الأوضاع المأساوية التي كانت تعاني منها الجماهير الجزائرية)<sup>3</sup>، فكانت أفكار الشيخ محمد عبده من أهم العوامل التي ساعدت على ظهور الخطاب الإصلاحى، وكذا جمال الدين الأفغانى والشيخ رشيد رضا الذي (قد أثار على الأوضاع الاجتماعية والدينية المتردية ومزق ضباب الخرافات والبدع التي ألحقت بالدين نتيجة لأعمال الزوايا والطرق الصوفية المنحرفة عن الإسلام الصحيح)<sup>4</sup>.

ومن أسباب ظهور الخطاب السياسى كذلك (عودة أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز منبع الإسلام ومنبت الدعوة إلى الإصلاح الإنسانى، بعد أن تشبعوا بالأفكار

1- محمد الحسن فضلاء : أعلام الإصلاح فى الجزائر ، ص 9.

2- رابح تركي : (الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية فى الجزائر ) ، مجلة الثقافة ، عدد 68 ، ص 37 .

3- عبد الكريم بوالصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها فى تطور الحركة الوطنية الجزائرية ، (1931 - 1945م) ، ط1 ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، 1981 م ، ص 54-55.

4- البشير الإبراهيمي : سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ، 1935م ، ص 34.

الناضجة الحديثة هناك واختمرت في أفكارهم وعقولهم، وتأثروا بها وعادوا إلى أرض الوطن يحملون معهم هذه الأفكار الجديدة)<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى مراكز العلوم الدينية في جامع الزيتونة وجامع الأزهر الذين كان لهم الفضل الكبير في بث الفكر الإسلامي للمجتمع الجزائري.

**2- أسباب داخلية :** من أهم العوامل الداخلية التي ساعدت على ظهور الخطاب الإصلاحية هو تواجد الاستعمار الفرنسي، ومحاولته طمس معالم الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر خاصة بعد احتفاله بمرور مئة عام لاحتلاله الجزائر، كانت احتفالات عدائية تشعر الجزائريين بالذل والإهانة، حيث جاء في إحدى المجلات الفرنسية (إننا معشر الفرنسيين في بلادنا هنا في الجزائر، قد استحوذنا على هذه البلاد وبسطنا سلطتنا عليها بالحديد والنار، إذ لا ينجح أي احتلال إلا بالقوة ...)<sup>2</sup>.

بالإضافة إلى سبب (انحراف معظم الطرق الصوفية في الجزائر عن جادة الإسلام القويمة حيث أكثروا من البدع في الدين، بل وتعاون معظمهم مع الإدارة الاستعمارية ضد مصالح بلادهم العليا)<sup>3</sup>، وكانت تتلقى هذه الطرق التشجيع من الاستعمار.

كما شاع الجهل والامية في أوساط المجتمع الجزائري حيث يقول الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني رحمه الله عند زيارته للجزائر: (شاهدت من تعاسة المسلمين ودينهم ولغتهم مالم أكن أتصور أن الحالة وصلت إلى معشاره: جهل باللغة العربية فظيع، وطمس لمعالم الدين شنيع ...)<sup>4</sup>.

بالإضافة إلى ما كان يعانيه الشعب الجزائري من جوع وعطش وتشرد أي عاش المأساة بكل معانيها بما فيها الطرق والأساليب التي كان يطبقها الاستعمار على الشعب،

1- عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ، (1931 - 1945م) ، ص61-62.

2- المرجع نفسه، ص 85-86.

3- رابح تركي : (الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر )، مجلة الثقافة ، عدد68 ، ص36 .

4- محمد إبراهيم الكتاني : سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 233 .

ففي تلك الظروف والأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري من قسوة ومعاناة، إلا أن ظهور الخطاب الإصلاحى بعث الأمل في نفوس الجزائريين وأحيا الضمير الإصلاحى عند العلماء المسلمين الجزائريين.

#### د- تطور الخطاب الإصلاحى في الجزائر من خلال الشيخ عبد الحميد ابن باديس :

كان للشيخ عبد الحميد ابن باديس الدور الجليل في تطور الخطاب الإصلاحى بسبب (انطلاقته الكبرى والقوية في التعليم وإلقاء الدروس على العامة من الناس لتوعيتهم بأمر دينهم وتحسين لغتهم العربية)<sup>1</sup>، وقد ألقى دروسه لعدة سنوات في الجامع الأخضر بقسنطينة داعيا إلى الإصلاح ونبذ البدع، ومقاومة الخرافات والجمود، وتحرير الفكر الجزائري من سيطرتها)<sup>2</sup>.

كما ظهرت (أثناء التدريس مواهبه وما أوتي من براعة وخبرة بتوفيق الله تعالى، فهو مدرس ماهر، لا يكل ولا يمل، يدرس من بعد صلاة الفجر إلى صلاة العشاء مع قسط ضئيل للراحة والصلاة والغذاء ثم يعظ الناس في مسجده بعد صلاة العشاء إلى ما شاء الله)<sup>3</sup>.

كان مفسرا ممتازا حيث أنه يقرأ التفاسير ثم يجعل من عقله مصفاة لها باستتباط واع واستنتاج للعبارة (ختم تفسير القرآن الكريم تدريسا، في خمسة وعشرين عاما، وذلك سنة 1357هـ / 1938م)<sup>4</sup>، وكان في شرحه للحديث محدثا بصيرا، شرح موطأ مالك رضي الله عنه حتى أكمله في مدة خمسة وعشرين عاما، وكان في درس الفقه فقيها من الطراز الأول خبيرا بمذهب مالك متفقا على غيره من المذاهب ويمقت التعصب لمذهب معين، وله فتاوى عظيمة، تحس منه أنه ملأ علما منظما<sup>5</sup>.

1- البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص40.

2- رايح تركي: الشيخ عبد الحميد ابن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر، مجلة الثقافة، عدد 68، ص36.

3- علي مرحوم: مجلة الأصالة، عدد 24، الجزائر، 1954م.

4- عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص9.

5- ينظر عمار الطالبي: ابن باديس حياته وآثاره، ج4، ص216، (411 - 424).

كان (الإمام ابن باديس من الأوائل الذين فكروا وسعوا لتأسيس هيئة وطنية لتوحيد جهود علماء الجزائر العاملين في العمل الإصلاحية)<sup>1</sup>، ففي 5 ماي 1931 عقد العلماء اجتماعا أعلنوا فيه عن تأسيس جمعيتهم هذه، وانتخبوا عبد الحميد ابن باديس رئيسا لها وتولى العمل باسم الجمعية في الشرق الجزائري)<sup>2</sup>، و(كان يحتج باسمه الخاص في أخرج المواقف، وباسم الجمعية في المواقف العادية حفظا للجمعية و صونا لها من القلاقل وتفاديا لها من الكيد والبطش)<sup>3</sup>.

لقد كان للجمعية الدور البارز في تطوير الخطاب الإصلاحية في الجزائر، وتوعية شعبها من خلال :

**1- إنشاء المدارس الحرة:** بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ركز ابن باديس (جهوده من خلالها على إنشاء المدارس الحرة بفضل أمواله وتبرعات الشعب فكانت هذه المدارس تعلم الأطفال والكبار اللغة والدين، والتاريخ التي تعد مقومات الشخصية الوطنية، بالإضافة إلى الحساب والجغرافية)<sup>4</sup>.

**2- إنشاء الكشافة الإسلامية الجزائرية:** إن الشيخ ابن باديس (هو الذي أوحى بفكرة إنشاء الكشافة الإسلامية الجزائرية للشهيد محمد بوراس في عام 1933 م، وكان الهدف منها تربية النشئ على حب الوطن، والدين وعلى الأخلاق العالية)<sup>5</sup>، كما أنه (أنشأ النوادي الثقافية وأصدر الجرائد و المجلات، هذه الأخيرة التي حظيت بإقبال الشباب عليها من كل فج عميق.

1- سعيد بورنان : شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830 – 1962م)، ص 106 .

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- محمد الميلي : ابن باديس وعروبة الجزائر، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والجزائر، 1980م، ص15.

4- رابح لونيبي: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة، د ط، دار المعرفة، الجزائر، د ت، ص 22 .

5- المرجع نفسه، ص 20.

يعبرون فيها بالقول والعمل عن رفض المحتل الطاغي، ويبدون أملهم المكبوت في التحرر<sup>1</sup>.

**3 - مواقف إزاء مقاومة الاستعمار للتعليم :** حين (أراد الاستعمار منعه من التعليم، كتب مقالا تحت عنوان "بعد عشرين عاما في التعليم نسأل هل لدينا رخصة؟"، وحين أصدرت فرنسا قرار 8 مارس 1938م المشؤوم والقاضي بمنع التعليم العربي، كتب الإمام سلسلة مقالات في الشهاب والبصائر يندد به ويحذر من خطورته، ويدعو الأمة إلى مقاومته)<sup>2</sup>.

فقد استطاع ابن باديس أن ينهض بالخطاب الإصلاحى من خلال تأسيسه للجمعية وإنشائه للمدارس الحرة والكشافة الإسلامية الجزائرية والنوادي، ونشره للجرائد والمجلات ومقاومته للاستعمار، كما استطاع (بعلو همته وفصاحة رأيه، ورجاحة عقله، ومحبته لوطنه وإحساسه العميق بمشاكل مجتمعه، ووعيه لآماله ومطامحه، وتفتحته على عصره، استطاع أن يربط بين الجزائر والشرق من خلال الصحوة العربية الإسلامية التي بدأها شيوخ القرن العشرين الثلاثة "جمال الدين الأفغانى" و "محمد عبده" و"رشيد رضا" وامتد على إثرها إلى الجزائر وسائر الأقطار العربية، ولكنه لم يقتصر على الكتابة في الجرائد والخطابة في المساجد، والتبليغ عن طريق الوعظ والإرشاد كما فعلوا، بل سعى لرسم الإطار وتهيئة الماعون الذي تتفاعل فيه مشاعر الشباب وتقدح فيه أفكارهم)<sup>3</sup>.

1- الشهاب الجديد : السنة الثالثة، عدد3، ربيع الأول -أفريل ( 1425 هـ -2004 م )، ص21.

2- سعيد بورنان : شخصيات بارزة في كفاح الجزائر ( 1830-1962م )، ص 115 .

3- الشهاب الجديد :السنة الثالثة ، عدد3، ص21 .

**B**

## الخاتمة :

من طبيعة أي عمل أو بحث علمي أن تكون له ثمار في ختامه، غير أن ثمار شجرة ابن باديس التي غدت عقول ونفوس الشعب الجزائري وأيقظته من سباته في الثلث الأخير من ليل الاستعمار، لا يمكن الإلمام بها في سطور من بحثنا، غير أنه يمكننا رصد مجموعة من النتائج المتوصل إليها من دراستنا لهذا البحث هي:

- أن الخطاب الإصلاحى للشيخ عبد الحميد ابن باديس كان له الأثر البالغ على الحياة الدينية والاجتماعية والفكرية داخل الجزائر ومحيطها القريب، آثار باقية لا تمحى، بالإضافة إلى صدى صوته في الخطاب الذى أّجّج نفوس المجتمع الجزائري واستطاع أن يحدث نهضة فكرية وثقافية وتعليمية شاملة وينشر وعيا سياسيا وطنيا عاما، وهذا راجع إلى سعة أفقه ونضوجه الفكرى.

- هذا هو الرجل الذى عرفته الجزائر عالما وعاملا، وفقها مجتهدا، ومربيا مخلصا ومصالحا وسياسيا وإماما، كان يقضى بياض نهاره، وسواد ليله فى خدمة دينه ولغته وبلاده، لم يكن يثنى عن هذا الأمر الذى وجّه كل جهده إليه، أى عائق من العوائق الكثيرة التى كانت تعترض سبيله كما قال: "روتشك هوفى" >إن ثراء الدول ليس فى قطنها أو ذهبها أو حريرها إنما ثراء الدول فى رجالها <.

- هذه المكانة المرموقة التى حضى بها ابن باديس داخل مجتمعه وخارجه وكشخصية إسلامية أثيرة استطاعت بسلاح الإسلام والعروبة أن ترد للجزائر هويتها وعروبته وإسلامها، ضاربا أروع الأمثال فى الشجاعة والتضحية دفاعا عن بلاده وأمتة.

- ومن أجل تعبئة الأجيال وتحرير الجزائر وضع ابن باديس خطته للنهضة الشاملة بخطابه الإصلاحى فى مجال الإصلاح الدينى والاجتماعى بالدعوة إلى الإيمان الصحيح ومقاومة البدع والخرافات والأوهام، ومحاربة الظلم والفساد وأشكال الاضطهاد والوقوف فى وجه القوانين الجائرة بدعوته للنهوض بالأمة، فقد ظل يجاهد بفكره ولسانه وقلمه فى مجال التعليم والتربية والصحافة، وبهذه الروح الوطنية الوثابة وبهذه العزيمة الصلبة ظلّ يعلم الناس ويرشدهم، وينمى أفكارهم ويصيرهم بواجبهم تجاه أنفسهم ووطنهم، وتجاه دينهم

ولغتهم، لأنه كان يرى أن واجبه الأول في معركة بلاده مع الاستعمار، هو تعبئة الناس وتنوير عقولهم بالعلم والمعرفة وتسليحهم بالوعي والإيمان.

- كما وجد خطابه الإصلاحى تفاعلا كبيرا من طرف المجتمع الجزائري، وكانت له قوة بارزة في إقناعهم وتغيير أفكارهم وأوضاعهم بشكل واسع، وسر ذلك يلاحظ في استعماله للحجج والبراهين والاستدلال والاستشهاد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومنهج السلف الصالح، وكذلك لم يكن خطابه نظريا بل كان يجسد على الواقع، واتسم أسلوب ابن باديس بالتعدد في خطابه الإصلاحى من الأسلوب الخبرى للتعريف والتأكيد وأسلوب التعميم والتذكير، والأسلوب الإنشائي من أمر وتعجب واستفهام التي أغنت خطابه الإصلاحى.

- كما أن مضمون خطابه الإصلاحى مستمد من روح العصر يتماشى مع واقع المجتمع الجزائري وكان هادفا إلى حد بعيد، فهو الذي حرك به المجتمع للدفاع عن وطنه بلغة راقية تنوعت من حين لآخر من خطابية وتقريرية، وتارة أخرى انفعالية وذلك لطبيعة الموضوع، كما نجد عمقا في لغته من خلال مقاله "إجابة لصوت الواجب" وذلك لأنه يعيش مع الإنسان وواقعه من كل جهاته.

- هذا هو الرجل الذي كان قلب الجزائر النابض، وروحها الوثابة وضميرها اليقظ وفكرها المتبصر، ولسانها المبين، لم يضعف أمام هجمات الاستعمار المتتالية، ولم يستسلم لتهديداته ولا لإغراءاته بل بقي ثابتا على مبادئه صامدا حتى آخر حياته، وقد كتب عنه شاعر الجزائر الكبير محمد العيد آل خليفة قصيدة، التي بكى فيها إمام الجزائر ورائد نهضتها عبد الحميد ابن باديس وكتبت على لوح رخامي على قبره:

هل أنت بالضيف العزيز خبير؟  
عبد الحميد إلى حماك يصير  
صيت بأطراف البلاد الكبير  
فالوارثون لما تركت كثير

ياقبر طبت وطاب فيك عبير  
هذا ابن باديس الإمام المرتضى  
العالم الفذ الذي لعلومه  
وفي آخر القصيدة يقول:  
لانخش طبيعة ماتركت لنا سدى

وفعلا كان خطابه الإصلاحى إرثا عظيما للمجتمع الجزائري والإسلامي، حيث أن خطابه كان جوهر القيم الروحية للفرد الجزائري.

# خطة البحث